كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ

هٰذا هُوَ الحق !

رد على مفتريات كاهن كنيسة

بقلم

ابن الخطيب

صاحب الفرقان . وأوضح التفاسير . وغريب القرآن

" بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ "

الطبعة الأولى

سنة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

المطبعة المصرية ومكتبتها

تأسست عام ١٩٢٤

سوق الأوقاف بأرض شريف . شارع عبد العزيز

تليفون ٩٠٠٥٣٨

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله

هذا هو الحق!

" بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق "

بقلم

ابن الخطيب

صاحب الفرقان . وأوضح التفاسير . وغريب القرآن

الطبعة الأولى

سنة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م

المطبعة المصرية ومكتبتها

تأسست عام ١٩٢٤

سنوف الأوقاف بأرض شريف . شارع عبد العزيز

تليفون ٩٠٠٥٣٨

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ
وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولى من الذل !

والصلاة والسلام على إمام الرسل ، وسيد الكل ، وخير الأنام ، وخاتم الأنبياء الكرام !

النور الهادى ، والسر السارى ؛ محمد بن عبد الله ، النبى الأمى ، صاحب الدين القويم ، والخلق المستقيم ؛ الذى أرسله الله تعالى رحمة للعالمين(١) ، وهداية للسالكين ، وبعثه بخير دين ، وأنزل على قلبه الكتاب المستبين ؛ فهدى به قلوباً غلفاً ، وأسمع آذاناً صماً ، وبصر أعيناً عمياً ؛ ونقل أمته من الجاهلية الجهلاء ، إلى الحنيفية السمحاء ، فكانوا خلفاءه فى الهداية ، وأمناءه فى الرسالة ، وصاروا — بما فهموا من الآيات — نبراساً للهداة ، وقمعاً للغواة !

وقد انتشر دينه العظيم فى أقطار الدنيا انتشار أشعة الشمس عند شروقها ، والكواكب عند بزوغها . فاستنارت به قلوب أناس مهد الله تعالى لهم سبل الهداية : فاستدلوا به عليه ، واهتدوا بإنعامه إليه ؛ عرفوا الله فعرفهم ، ورضوا عنه فرضى عنهم ، وأحبوه فأحبهم ؛ « ذلك هو الفوز العظيم » .

---

(١) العالمين : كل ما سوى الله ، من مخلوقاته ، فى أرضه وسمواته ، طائعيه وعصاته رسله ، وأنبيائه ، وملائكته ، جنه وإنسه !

وحاربه أناس طمس الله تعالى بصائرهم ، وأعمى أبصارهم ؛ فباءوا بالخزى فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة « ذلك هو الخسران المبين » .

وزعم آخرون الإيمان بعيسى وماهم به بمؤمنين ! فقد قال لهم « إنى رسول الله إليكم » فقالوا : بل ابنه .

وعادوا مستصغرين البنوة ؛ فزعموا له الألوهية المطلقة كاملة غير منقوصة !

فهؤلاء سيجزون صنيعهم ، ويبوءون بذنبهم ، يوم يقول الله تعالى : « ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق » .

وعندئذ يعلم المبطلون ؛ فى أى زور يخوضون ، وأى إثم يرتكبون !

وهذا الذى يدعون ألوهيته ؛ لم يؤمنوا به حق إيمانه ؛ فقد أحيا لهم الميت ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وخلق لهم من الطين كهيئة الطير « بإذن الله » فلم يكف كل ذلك لإقناعهم ؛ بل قال له رؤساؤهم : « هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء »

وبعد كل الذى لاقاه من عنتهم وبغيهم : لم يؤمنوا به كنبي — كما أراده الله تعالى له — بل آمنوا به كإله خالق ، رازق قادر !

وبعد ذلك أمسكه أعداؤه — وهو الإله القادر — وأنزلوا به صنوفاً من التعذيب والتنكيل ؛ فلم يدافع عنه أحد من عباده ؛ بل أسلموه لجلاديه ؛ فلم يكتفوا بتعذيبه ؛ بل قتلوه — فى نظرهم — شر قتلة . فلما قتل هلل متبعوه وكبروا ، واعتبروا صلبه إحدى النعم التى اختصوا بها ؛ فقد افتداهم الإله بابنه ؛ وطاروا فرحاً بهذه العقيدة الفاسدة ، والنحلة الكاسدة !

وإذا كان اليهود صلبوا المسيح ففدى به الله تعالى العصاة والطغاة من عباده ؛ فقد قتلوا من قبله زكريا ويحي ، فهل كانا للفداء أيضاً أم راح دمهما هدراً فلم يفديا أحداً ؟!

أما بعد : فقد لفت نظرى أحد المؤمنين الموحدين إلى كتاب أصدره كاهن كنيسة بالجمهورية العربية المتحدة ، وقد أسماه « الحق » وما فيه من كلمة واحدة تنتسب إلى الحق ! بل هو والحق ضدان لا يجتمعان !

فبدأت فى قراءته متمعناً ما جاء فيه . فعجبت كل العجب : كيف يجرؤ إنسان — بالغاً ما بلغ من العته والسفه — أن يعتدى على مقدسات قوم يعيش فى كنفهم ، ودين يأمر أهله بالإحسان إلى أرباب كل دين وملة تخالفه ؟ !

كيف تسول له نفسه الآثمة أن يحيل القرب بعداً ، والود بغضاً ، والسلم حرباً ، والأمان خوفاً ؟ !

كيف يرتضى لنفسه مركب الهوان ، بعد أن أعزه الدين الذى يطعنه ، وأحبه أهله ؛ بل جعلوه واحداً منهم ، واعتبروا إكرامه ، والحفاظ على عبادته : إحدى شعائر عباداتهم ؟ !

لقد عجبت كيف يمتطى كاهن من كهان المسيحية مثل هذا المركب الصعب الخشن ؟ ! فيزج بنفسه وبأبناء ملته فى جدل لا ينالهم منه إلا السوء والهوان والفضيحة ! وقديماً قالوا : الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها !

وياليت كتابه هذا كان كتاباً علمياً ينطق بمنطق العقلاء الألباء ، ويبحث بحث المفكرين المتدبرين . إذن لهان الخطب ، ولكنه منطق المحارب الموتور ، الأعمى ، الذى لا يبالى أين يقع سهمه : أفى نحره ، أم فى صدر عدوه ؟ !

ومن عجب أن يصدر كتابه بصورة غبطة البطريرك : البابا كيرلس السادس ؛ ليوهم السذج والبسطاء من ملته أن ما قاله فى كتابه قد وافق عليه الأب الروحى للمسيحية !

الذى نعتبره — نحن المسلمين — من الذين عناهم الله تعالى بقوله « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون » .

وقد حلى هذا الكتاب بتقريظ منسوب إلى أحد زملائه فى الخطيئة : عميد كلية اللاهوت . الذى أظهر فى تقريظه : استحسانه للكتاب ، وممالأته لمؤلفه . وأسمى بذاءة مؤلفه : دفاعاً مجيداً جريئاً . وانحرافه عن جادة الحق والصواب : مجهوداً قيما . وعملا عظيما !

فهو بذلك شريك له فى الإثم ، رفيق له فى الجرم !

قرأت هذا الكتاب وتمعنته ملياً ؛ وقد بدا لى — بادىء ذى بدء — أن ألقى به فى سلة المهملات ؛ شأن كل موضوع تافه لا يقبل الجدل ، ولا يحتمل الرد .

لكنى فكرت : ألم يقرأ هذا الكتاب : البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ؟ ! ألم يطلع عليه من أنار الله بصيرته : فيمتهنه ويمقت كاتبه ؟ ويطلع عليه أيضاً من سود الله سريرته ، وأعمى قلبه : فيعجب به ، ويقول فى نفسه : ها هو الدين الذى يزعم أهله أنه أصح الأديان ؛ وقد صيره أبونا الكاهن فى خبر كان ، وأبان بواضح الحجة والبرهان بطلانه وفساده !

وفكرت أيضاً : ماذا يحدث لى نفسياً لو أبلغنى مبلغ أن امرءاً أهان ابنى ، أو قذف أبى ؛ هل كنت أوثر الصمت والسكوت ، على غسل هذه الإهانة ، ومحو هذا القذف ؟ ! كل ذلك جال بخاطرى .

وفكرت : وأين ابنى وأبى ؟ بل أين أهلى ومالى وروحى ، من محمد بن عبدالله ؛ الذى لا يتم إيمان أحدنا حتى يكون أحب إليه من ماله وولده وروحه والناس أجمعين !

فشرعت فى الرد عليه ؛ لأرد كيده فى نحره ، وأسقيه — محقاً — بالكأس التى أراد أن يسقيناه — مبطلا !

وقد نبأنا الحكيم الخبير — من قبل — بأمثال ذلك الكاهن ؛ فقال جل شأنه عن الوالد والولد « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

وقد حاول فى كتابه جاهداً أن يخفى مافى قلبه للإسلام من بغض ، ومافى نفسه للمسلمين من حقد : بالكلمة الناعمة الملس ، الخبيثة المرمى ! ويستر بالعبارة المزوقة ؛ السم الدفين !

وقد بسط كل طعنه وتجريحه ، بل وسبابه فى غلاف من اللين ، وأسلوب ملىء بالرياء والنفاق !

ولكنه رغم نفاقه وتستره : قد كذب القرآن الكريم بصراحة لاغموض فيها ولا إبهام ، وطعن الرسول عليه الصلاة والسلام طعناً مريراً حقيراً ؛ وعاب الدين الإسلامى عيباً يخرجه من عداد الأديان !

كل ذلك بلفظ مزخرف يقطر سماً ! وقول معسول يسيل علقما !

ولكنى لن أجاريه فى ريائه ، ولن أماثله فى نفاقه ! لأن الرياء : دليل الضعف — ولست بالضعيف — وقد قوانى الله تعالى بالحجة السديدة التى لقننيها رسوله المصطفى المرتضى عليه الصلاة والسلام !

ولأن النفاق دليل الكفر — ولست بالكافر — وقد أكرمنى الله تعالى بالإيمان الذى لايرتضى سواه ! فقد وحدت الله تعالى فلم أشرك معه أحداً من عباده ، ولم أنسب إليه شريكا ولا ولداً !

ولما كان أسلوب هذا الكاهن يخفى بين طياته نفاقاً يعيبه ديننا الواضح الصريح ، والتواء آ يمقته إيماننا الصحيح : فقد أردت أن أكشف خبيئته ، وأن أكلمه بروح الإسلام ، التى تقول للمخطىء أخطأت ، وللآثم أثمت ؛ ولو كان ذلك المخطىء وهذا الآثم : كاهناً من الكهان ، أو راهباً من الرهبان !

وتوخيت أن أقول مافى نفسى ولا أستره بغلاف من المداهنة والملاينة !

فنى استطاعة أى إنسان أن يتكلم بالكلمة المونقة الناعمة : فيهتز لها عرش الرحمن ، لما حوت من بهتان ، وتشتعل القلوب بها غيظاً وكمداً ، فإذا ماخوطب بأى لسان ، أو حوسب بأى بيان : لما كان ذلك عقاباً له ، أو زجراً لمثله !

وقد يهول القارىء ما أقوله من سيء القول ؛ وقد أمرني ديني بالحسنى « ادفع بالتي هي أحسن » ولكنه حينما يقرأ ما كتبه ذلك الكاهن يستقل كل قول ، ويستصغر كل فعل !

لقد طعن هذا الأفاك في خير دين ، وقذف خير نبي ، وعاب خير كتاب ! فلا يجوز أن يلومني إنسان على سبق لسان أو على شدة في قولي ، أو عبارة ندت في منطق ، فإن مثله — وقد فعل ما فعل — لا يخاطب إلا بمثل ذلك !

هذا وقد نقل في كتابه بعض آيات الكتاب الكريم ؛ مستدلا بها استدلالات فاسدة — كما سترى — بيد أنا رأيناه يقتطع من الآية ما لا يتفق ورأيه ؛ بل ما يناقضه وينقضه ؛ فكان مثله كمثل من قال « فويل للمصلين » وسكت عن باقي الآية « الذين هم عن صلاتهم ساهون » .

كل هذا يغتفر لمثله — وقد أضناه البحث عن الدليل ، فضاق عليه السبيل — إنما الذي لا يغتفر : أنه ينقل الآيات مشوهة مزيدة الكلمات ، ناقصة المعاني . وقد فعل ذلك متعمداً ؛ لأنه يدل على الآية برقمها ، ويسندها إلى سورتها ؛ الأمر الذي يدل دلالة واضحة على أن بيده مصحفاً ينقل منه .

ولعله أراد أن يرينا مبلغ دقتهم في النقل الذي نقلوا به أناجيلهم وتوراتهم التي أنزل الله تعالى كلا منها كتاباً واحداً ؛ فصيروه قراطيس « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً . . . . قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » .

ولما كان إصدار مثل هذا الكتاب ينطوي على جريمة نكراء ، يعاقب عليها القانون الوضعي ، والقانون السماوي معاً ؛ فضلا على مجافاة ذلك للذوق الديني في سائر الديانات ؛ وفضلا عن إثارته لأمة أثبتت الأجيال المتعاقبة كرمها ، وحلمها ، وسعة صدرها ، وحسن ضيافتها . وفضلا على أن الطعن الذي احتواه هذا الكتاب هو طعن في الدين الرسمي للدولة ، وفي الكتاب — لا أقول المقدس — بل الذي قدسته فعلا كل الأمم التي ضربت بسهم وافر في التقدم والرقي ؛ الكتاب

الذى أشاد بعظمته من يتبعونه ويدينون به ، ومن لا يتبعونه ولا يدينون به . الكتاب الذى لم يتغير فيه حرف ، ولم يتبدل منه قول ؛ منذ تلقيه من جبريل عليه السلام حتى قيام الساعة !

ولكن جهل مؤلف الكتاب باللغة العربية ، وبالديانة الإسلامية ، وبالغ جهله بالديانة المسيحية ؛ التى يزعم تمسكه بها . كل ذلك دفعه إلى ارتكاب ما ارتكب !

ولما كان عمله هذا — كما سيستبين فى هذه العجالة — من الأمور التى تكدر السلم العام ، وتزلزل الأمن ؛ لتعرضه للطعن فى خيردين ، وخيرنبى ، وخيركتاب !

وإنه لمن المسلم به أن المؤلف لايؤمن بما يقوله المسلمون ، كما أن المسلمين لا يؤمنون بما يقوله المسيحيون . ولكنه لو ترك كل إنسان يعبر عن رأيه الفاسد بمثل ما عبر به لصارت الأمور فوضى ، ولخشينا نحن المؤمنين أن يقوم من بيننا من تدفعه الغيرة والحمية فيدافع عن الإسلام ، ويحط من المسيحية بالقدر الذى لايستطيع أن يدفعه مسيحيو أهل الأرض مجتمعين .

ولاتزال ترن فى الأذن كلمة عميد كلية اللاهوت فى تقريظه : دفاع مجيد وجرىء ولفظة جرىء تحمل فى طياتها ما تحمل !

هذا ولن أتعرض بحال للعقائد التى يدين بها المسيحيون : كعقيدة الصلب ، وقد نفاها القرآن الكريم . وألوهية المسيح ، أو بنوته لله ، وقد نفاها المسيح نفسه : إذ نادى فى سائر الأناجيل أنه ابن الإنسان !

ولكنى سأتعرض لها بالقدر الذى يقتضيه البحث والمشاكلة والمماثلة : إن كان ثمت مشاكلة أو مماثلة .

وسأحاول جاهداً أن أقصر كلامى على الأمور التى تخالف القانون ، وتخالف الجهل ، وتنبو عن الدين والعلم ، وتزلزل الأمن ، وتكدر السلم !

وأقسم — غير حانث — بكل يمين غموس أنى أحب عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأقدره كنبي رسول ؛ أكثر مما يحبه سائر المسيحيين ويقدرونه كإله !

هذا ولقد أساء هذا الكاهن بكتابه إلى المسيحية أكثر مما أساء إلى الإسلام !

بل لقد أحسن إلى المسلمين : بأن أعطاهم فرصة يبرزون فيها عقائدهم النظيفة النقية ؛ لكل ذى قلب يعى ، وأذن تسمع !

وقد يعترض معترض قائلا : أليس دينك وقرآنك يأمرانك بالحسنى فى جدال أهل الكتاب «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن» وقد يفوته الاستثناء الوارد فى الآية الكريمة «إلا الذين ظلموا منهم» .

وقد ظلم هذا الكاهن نفسه ، وعشيرته ، وقومه ؛ ظلماً بيناً بما أتاه فى كتابه !

وفوق كل ذلك فانه ليس من أهل الكتاب الذين عناهم الله تعالى فى قرآنه الكريم . فهو جل شأنه حين سماهم أهل كتاب : فانما أراد بهم المنزل عليهم التوراة والإنجيل ، العاملين بما فيهما .

ولكن أين التوراة وأين الإنجيل اللذان أنزلهما الله ، وأين أتباعهما ؟

آلله أمر فيهما بعبادته ، أو بعبادة أحد من خلقه ؟ «وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو . . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة !»

آلله أمر فيهما بانتهاك حرمة الأديان ، وامتهان عقائد الآخرين ؟

كل هذا يخرج مؤلف الكتاب ، من زمرة «أهل الكتاب» ويجعلنا فى حل من مقابلته بالسوأى التى قابلنا بها ، ورميه بالمراجم(١) التى رمانا بها !

وأهل الكتاب الذين نص عليهم القرآن الكريم : هم الذين آمنوا بالقرآن مع كتابهم : «وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون . وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به» .

---

(١) المراجم : قبيح الكلام ، وراجم عنه : ناضل .

وإنى أهيب بقداسة البابا كيرلس السادس : بطريرك الكنيسة القبطية ، وبكل عاقل من المسيحيين : أهيب بهم أن يضربوا بيد من حديد على مشعل الفتنة ، وقد خبا نارها من قرون ؛ فما هكذا أراد الله ، ولا بهذا أمر رسل الله ، ولن يرضى عن ذلك عيسى رسول السلام ، ولا محمد نبي الإسلام !

وهانحن أولاء نرد على ما جاء فى هذا الكتاب الفاسد الفاشل ؛ مستعينين بالله تعالى على الدفاع عن دينه ، والمحافظة على كتابه ، والمنافحة عن نبيه . والله أسأل أن يجعل هذا قصداً فى سبيله ، وسبيلا إلى مرضاته ! ؟



١٦ مارس ١٩٦٦
٢٤ ذى القعدة ١٣٨٥

"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ"

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا
نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا"

"وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ"

"يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ"

"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ"

"أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ"

"لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ"

"لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ".

"مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ".

مزالق الكتاب

بالكتاب مزالق جمة تزيد عن الحصر ؛ فلا يخلو سطر منه من ضلالة ، ولا تخلو كلمة من جهالة ، وليس فيه من معنى يخلو من الاضطراب واللغو ؛ وجله — إن لم يكن كله — من سقط القول ، وبذيء اللفظ !

غير أنا تحرينا ذكر أهم ما عنى به من قدح مالا يقدح ، وجرح مالا يجرح ، وتشويه مالو اجتمعت الجن والإنس على النيل منه : مازادوه إلا صقلا ، ووضاءة ، وجمالا ، ونوراً !

فمن مزالقه : أن صدر الكتاب بصورة قداسة البابا كيرلس السادس : ليوهم العامة أن ما جاء فى كتابه من طعن فى الإسلام ، ورسول الإسلام ، وكتاب الإسلام : قد وافق عليه رئيس الملة المسيحية .

ص ٨ — تقريظ للكتاب من عميد كلية اللاهوت : يشيد فيه بجهد المؤلف فى كتابه ، وأنه سد فراغاً كبيراً فى المكتبة القبطية ، وأنه كتاب قوى ، ودفاع مجيد وجرىء .

وكلمة « جرىء » تستدعى الوقوف عندها قليلا .

ص ١٢ — أشار فى مقدمته إلى أن بعض الكتاب قد هاجموا الدين المسيحى فى مؤلفاتهم — ولم يذكر أسماءهم — وقد لمز فى هذه المقدمة جهاد المسلمين ، وأنهم كانوا يصورون للناس أن سفك الدماء ، وقتل الأبرياء ، وتخريب البلاد ، وسبى النساء ، وتشريد الأطفال ؛ إنما هو جهاد فى سبيل الله !

ص ١٥ — صرح بأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقبل الحجر الأسود اتباعاً للوثنيين ، وأن أبا بكر لم يرق له ذلك الفعل .

ص ١٧ — زعم أن الإسلام تملق اليهود ، والمسيحيين ، والعرب : فى القرآن وذكر بعض آيات الكتاب الكريم ، مؤولا لها على هواه .

ص ١٨ — زعم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لما مات : انتظر المسلمون قيامه كما قام المسيح ؛ فلما لم يقم : ارتد المسلمون ، ورفضوا الخضوع لخليفته أبي بكر ، وامتنعوا عن أداء الزكاة .

ص ١٩ — زعم أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ طقوس العبادات الإسلامية عن اليهود والمسيحيين .

ص ٢١ — زعم أن المسلمين يقدمون الأضاحى فى عيد الأضحى طبقاً للشريعة اليهودية .

كما قال : إن محمداً قد آثر الشريعة المسيحية فى الزواج بالزوجة الواحدة .

ص ٣٢ — زعم أن النبوة فى إسحق وولده . دون إسمعيل ؛ مريداً بذلك نفى نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ؛ الذى هو من ولد إسمعيل .

وكرر هذا المعنى فى ص ١٥٠ قائلا : إن محمداً نفسه لم يستطع أن يحدد ، من منهما الذبيح : إسحق ، أو إسمعيل ؟

ص ٣٤ — زعم أن التوراة والإنجيل محفوظان بنص القرآن « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وأن فى هذه الآية : استحالة تحريفهما .

ص ٣٥ — غمز القرآن بأن فيه آيات ناسخة لأخرى ؛ بعكس الإنجيل الذى لم ينسخ فيه شىء .

وأشار إلى أن أعمال الله وأقواله معروفة لديه منذ الأزل ، ولذلك يستحيل وجود تناقض بينها .

مشيراً بذلك إلى أن القرآن فيه تناقض بعكس الإنجيل . وزعم أن الكتاب المقدس هو المصدر الأصلى للقرآن .

ص ٦٢ — ذكر صراحة أن نسخ التوراة والإنجيل الأصلية قد فقدت لحكمة ؛ وليست هناك حكمة البتة !

ص ٨١ — غمز كيفية حفظ القرآن ، وأشار إلى وجود تناقض بين أقوال

أئمة المسلمين ، وتساءل : هل نضمن أن حفاظ القرآن لم ينسوا منه شيئاً ؟ وبذلك يشير إلى أن القرآن الكريم لم يكتب كله .

ص ٨٥ — أشار إلى تكذيب القرآن ، وتعجب مما نسب فيه إلى أفعال الله ؛ التى تتجافى مع العدالة ، ومع الكرامة !

ص ٨٧ — أشار إلى تناقض القرآن ، وزعم ثبوت الصلب فى القرآن خلافاً لما أعلنه القرآن نفسه من نفى للصلب .

ص ١٠٢ — بعد أن أبان — فى زعمه — ثبوت الصلب فى التوراة والإنجيل والقرآن ؛ قال : كفاكم أيها الكتاب تضليلا بعقول السذج !

ص ١٠٥ — أكد أن التثليث حقيقة نادى بها التوراة والإنجيل والقرآن .

وساق بعض الأدلة على إيمان المسلمين بالتثليث .

ص ١٠٩ — زعم أن القرآن يقول بتعدد الآلهة ؛ كما كان عند قدماء الإغريق .

ص ١١٦ — زعم أن محمداً كان ضمن المذنبين الذين تسلط عليهم الشيطان شأن سائر الأنبياء ؛ عدا عيسى الذى لابد أن يكون إلهاً !

ص ١٢٣ — غمز الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه ليس بنبي ؛ لأنه ليس لديه شيء من مقومات الرسالة ، وأن الرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة ؛ لا بإرغام الناس على قبولها بالسيف !

ص ١٢٧ — نفى عن محمد عليه الصلاة والسلام الشفاعة ، وأثبتها للمسيح وحده.

ص ١٣٤ — زعم أن المسلم يطلب فى صلاته أن يلحقه الله تعالى بالمسيحيين أليس يقول فى صلاته « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ؟ وغمز القرآن بالتناقض .

ص ١٣٥ — زعم أن محمداً كان وثنياً قبل الإسلام بنص القرآن

ص ١٣٦ — زعم أن المسلمين يقولون بمبدأ اريوس وتعدد الآلهة لمناداتهم على المآذن بقولهم « الله أكبر » وهذا يقتضى وجود آلهة أصغر من الأكبر .

وأشار إلى أنهم يصلبون بعد الصلاة . إذ هم يصلبون برؤسهم ، والمسيحيون بأصابعهم .

ص ١٤١ — انتقد القرآن زاعماً كذبه

ص ١٥٢ — زعم أن معنى قوله تعالى « وفديناه بذبح عظيم » أن هذا الكبش هو رمز للمسيح !

ص ١٥٨ — زعم أن الدين الإسلامى ما شاع وذاع إلا عن سبيل الجهاد فى سبيل الله . الذى لا يكون إلا عن طريق السيف وسفك دماء الأبرياء وإخراج الناس من ديارهم ، وسلب أموالهم .

ص ١٦٦ — بكى وتباكى — نفاقاً — على أن المسيحيين قتلوا سبعين ألفاً من المسلمين . ولم يستمر نفاقه حتى أبان عن خبيئة نفسه فى الصفحة ذاتها . إذ قال : ولكن الصليبيين سحقوا جيش مصر ، وقتل من الجيش المصرى نحو ١٠٠,٠٠٠

ص ٢٠٠ — زعم أن الإنجيل ذكر كروية الأرض من آلاف السنين ، فى حين أن القرآن أنكر كرويتها ، وساق — مخطئاً — بعض آيات القرآن التى تدل على مد الأرض وبسطها ؛ يا لجهالته !

بين الإسلام والمسيحية

من المعلوم أن المسيحية سبقت الإسلام ببضعة قرون ، كما أن الموسوية سبقت المسيحية .

فلما جاء الإسلام ، وبزغ قمر السلام ، وكان هو الدين المرضى عند الله تعالى نكاتمة للأديان جميعاً ؛ جاء فيه من الأوامر والنواهى ما يكفل السلام العالمى بين بنى الإنسان .

فقد أمر بمعاملة سائر الناس بالحسنى — مسلمهم ، ومسيحيهم ، عدوهم وصديقهم ، قريبهم وبعيدهم — « وقولوا للناس حسناً » .

ونهى عن السب والقذف والإسفاف ، وارتكاب كل ما يحط بقدر الإنسان « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله ... ولا تركنوا إلى الذين ظلموا » .

كل هذا وأمثاله جعل من المسلم صادق الإيمان : نبراساً يهتدى به ، ورائداً يركن إليه .

وكان أول المرحبين بصداقة المسلمين والتودد إليهم المسيحيون .

بل بذلوا لهم من الحب أضعاف ما بذلوا .

وقد أخبر الله تعالى المسلمين وعرفهم بمودة المسيحيين وحبهم ؛ « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى » .

وقد أشاد عظماء المسيحية وكهانها وكبراؤها بهذا الدين الجديد ، وعاشوا مع إخوانهم المسلمين جنباً إلى جنب : فى العشرة ، والمعاملة ، والصداقة ، والحب !

ورحب المسلمون من جانبهم بصداقتهم وأوفوا لهم عهدهم كما أمرهم ربهم .

وعاشوا على ذلك ، لا أقول ردحاً من الزمن ؛ بل من بدء البعثة المحمدية حتى الآن .

حرب يثيرها كاهن كنيسة

بيد أنه تلوح فى أفق الصداقات والمحبة غيوم — قد تكون بين حميمين ، أو بين أخوين — يثيرها إبليس اللعين ، فى قلب بعض الجاهلين !

وتنتهى هذه الغيوم بعودة الود القديم ، والحب الموروث المستكن !

وقد سخر إبليس مؤلف كتاب « الباطل » ليثير فتنته . بعد أن سخر منه ؛ واستخدمه فى الإيقاع بين الصديقين المتحابين ، فألف كتابه « الباطل » مستعيناً بمولاه ، الذى أرداه !

فوجب علينا — معشر المسلمين والمسيحيين معاً — أن نقف صفاً واحداً حيال إبليس اللعين ؛ الذى أمرنا جميعاً بعصيانه ومحاربته !

والله أسأل أن يعصمنا جميعاً من كيده ، وألا يوقع السوء إلا بمن اتخذه قائداً ومرشدا !

الحرية الشخصية

بدأ المؤلف كتابه « الباطل » بقوله :

بديهى أنه من أبسط قواعد الآداب المرعية فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض فى أى مجتمع ألا يتعرض أحدهم لحرية الآخر الشخصية ، وألا يتعرض له فيما يفكر ولا فيما يعتقد .

وتكلم بعد ذلك فى النكسة الأخلاقية ، والعار الذى ألحقوه بعصر الناهضة الفنية (يقصد بعض الكتاب ولا ندرى من هم) .

وبعد ذلك عرج إلى الطعن فى الجهاد فى سبيل الله — وهو فريضة من أولى الفرائض عند مناسبتها — وقال بأن الله لم يكن فى حاجة عن الذود عنه .

وقال عن حملات بعض الكتاب : أنها مليئة بالخبيث من القول .

كل هذا أورده المؤلف فى مقدمته .

أما عن الحرية الشخصية

فالإسلام والمسلمون أول الدعاة إليها . ألا ترى إلى قوله تعالى :

« قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

ولم يقل : فإن تولوا فاقتلوهم ، أو فإن تولوا فأخرجوهم من بلادكم ودياركم .

وقوله جل شأنه « ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم » وقوله عز من قائل « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

أما أقوال الكتاب المليئة بالخبيث من القول ؛ فلم نطلع عليها ولم نعلمها ، ولا نجد أخبث مما قاله المؤلف فى كتابه « الباطل » .

الحجر الأسود

طعن فى كتابه فى تقبيل المسلمين للحجر الأسود بالكعبة (ص ١٥) وهو إحدى مناسك الحج ، وزعم أنها عبادة وثنية ، وأنه بقية من آلهة العرب التى كانوا يعبدونها .

وأن نبى الإسلام قد قبله ؛ الأمر الذى لم يرق لأبى بكر !

ومعنى ذلك أنه ينسب الكفر لخير الناس بعد رسول الله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ! الذى نزل فى حقه « ثانى اثنين إذ هما فى الغار » لأن مخالفة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو انتقاد عمله : كفر لا يعدله كفر !

وزعم بعد ذلك (ص ١٨) أن تقبيل الرسول للحجر : كان إرضاء للوثنيين ، الذى كانوا يعبدونه من دون الله !

وهو بذلك يريد أن يقول : إن إمام الموحدين ، وسيد الخلق أجمعين : كان وثنياً . أو على الاقل كان يمالىء عبدة الأوثان .

وهى قالة يفتريها على من جاء ليخلص العالم من الجهالات والضلالات .

فقد عاب التثليث : « فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيراً لكم .. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » .

وعاب نسبة الولد إلى الله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون » .

وعاب اتخاذ الآلهة من دون الله « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم : وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لاإله إلا هو سبحانه عما يشركون » .

وصارح الكفار والمشركين بمخالفته لهم ، ونبذه لدياناتهم « قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . . . . قل ياأيها الكافرون ، لاأعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، لكم دينكم ولى دين » .

إن مثل هذا الرسول الكريم (الذى ليس له مثل) الذى ينطق بمثل ما نطق به من القول الفصل : لايعقل إطلاقاً أن يمالىء ، أو يمارى مخلوقاً كائناً من كان ؛ إلا فى حدود ما أمر به الله ، وأنزله الله !

ولسنا بصدد التكلم عن مشروعية تقبيل الحجر الأسود ، وحكمة هذا التقبيل ، وإنما المراد إيراد جرائم المؤلف وسخائمه — وهى كثر —

ولن نذكر — بهذه المناسبة — إنكارنا لألوهية المسيح عليه السلام ، وتجسد الله وحلوله بأحشاء مريم — كما يزعمون — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

ظهور الإسلام

زعم المؤلف فى كتابه « الباطل » بأن الإسلام عند ظهوره يجمع بين الدينين اليهودى والمسيحى (ص ١٧) وأنه حارب الناس ليحملهم على الدخول فيه بالقوة . وقد اجتهد نبى الإسلام فى استجلاب رضا الجميع — يشير بذلك إلى أن الدين والقرآن من صنعه لا من عند الله تعالى — فأرضى المسيحيين : إذ قال عن المسيح نفس ما ورد فى الإنجيل هو كلمة الله « بكلمة منه » ظاناً أن معنى ذلك : قطعة منه . كتأويلهم الفاسد . وغاب عنه أن الكلمة المرادة : هى لفظ « كن » لأنه لم يولد ولادة طبيعية كسائر البشر ؛ بل كان بلفظ « كن » فكان « إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون »

قال تعالى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » ولم يقل أحد يعقل بألوهية آدم ؛ وقد خلق من غير أم ولا أب ؛ فخلقته أغرب من خلقة عيسى . وهو حينئذ أولى بالألوهية منه ؛ على هذا القياس الفاسد !

وقد نسبوا إلى عيسى ما هو متبرىء منه . قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ .

وزعم أن نبي الإسلام أيضاً أرضى اليهود إذ قال عنهم فى القرآن « يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين » .

وبعد ذلك لم يشف المؤلف غليله فى الإسلام والقرآن ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام ؛ فقال : إنه استرضى المسيحيين أيضاً بقوله « يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس » وعلق على ذلك بقوله : إذا كان قصد الله فى الآية الأولى — كما قال بعضهم — أن يذكر بنى إسرائيل المعاصرين لمحمد بما نالوه من نعمة فيما مضى ؛ فهل كان يقصد الله أن يذكر المسيح بما أنعم عليه وعلى والدته فيما مضى أيضاً ؟ وما الداعى لهذه التذكرة والمسيح مع

الله فى السماء ؟ وأنتم (يقصد المسلمين) تؤمنون بأنه رفع إلى السماء حياً ، وإذاً فهو موجود مع الله كما تؤمنون ، وإذا كان الأمر كذلك فما الداعى لوساطة محمد لـكى يبلغ هذه الرسالة إلى المسيح ؟

ومفهوم هذه الآية — كما يتضح لذوى النظر — يبدأ من قوله تعالى « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ؟ قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب »

وبديهى أن ذلك يكون فى القيامة ؛ لإشعار المرسلين والمرسل إليهم بدقة الموقف ، وإقامة الحجة .

وتذكير الله تعالى لعيسى بإنعامه عليه وعلى والدته : لم يقصد به حثه على الشكر عليها ، لأن الآخرة — كما هو معلوم — ليست بدار تكليف ، بل دار تشريف .

ولـكن مؤلف « الباطل » أراد أن يصم إذنيه عن كل معقول ، وقلبه عن كل مفهوم .

وظل يناقش الله ، كما يناقش أحد الشمامسة ، وينقد القرآن كما ينقد إحدى المجلات . وهو بفعلته هذه لا يرمى إلا للحط من شأن الدين الإسلامى الملحوظ برعاية الله ، وكتابه المحفوظ من التحريف والتبديل بعناية الله !

موت الرسول عليه السلام

زعم فى (ص ١٨) أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه لما مات انتظر المسلمون قيامه كما قام المسيح بعد موته ، فلما لم يقم ارتد المسلمون عن الإسلام . . . الخ .

وقد غاب عنه أن المسلمين لم ينتظروا حياة رسولهم عليه الصلاة والسلام لسبب واحد : هو أنه أبلغهم — فيما أبلغه — عن ربهم قوله جل شأنه : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » وقوله عز وجل : « إنك ميت وإنهم ميتون » وقوله عز من قائل : « كل نفس ذائقة الموت » وقد كان عيسى ممن ذاق الموت ضمن من ذاقه من سائر البشر . وقول العزيز الجليل : « أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

عبادات المسلمين

كما زعم أن محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم قد أخذ عن اليهود والمسيحيين الكثير من طقوس عباداتهم . ذكر منها :

(١) أن اليهود والمسيحيين يصلون سبع مرات كل يوم ، ومحمد خفضها إلى خمس تيسيراً على المصلين .

كأن الدين جاء به محمد عن نفسه ، لا عن ربه .

(٢) أنه عليه الصلاة والسلام أخذ عن اليهود شريعة الوضوء الذى كان متبعاً فى الشريعة الموسوية .

(٣) أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ شريعة القبلة عند الصلاة عن اليهود ؛ فهم يولون وجوههم فى الصلاة شطر أورشليم ، والمسلمون يولون وجوههم شطر المسجد الحرام .

(٤) وأنه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام أخذ شريعة الأضحية عن اليهود (خروف الفصح) أما المسيحيين فليست عندهم الأضحية لأن رسولهم بولس قال : « لأن المسيح فصحنا قد ذبح (بصيغة المفعول) لأجلنا » فهنيئاً لهم بإلههم وفصحهم !

(٥) وأنه عليه الصلاة والسلام أخذ فكرة الأعياد عن اليهود والمسيحيين .

(٦) كما أخذ فكرة التحية عنهما .

(٧) وأخذ أيضاً فكرة الركوع عن اليهودية .

(٨) وقد بلغ من قبح تبجحه : أن زعم أنه عليه أفضل الصلاة والسلام آثر الشريعة المسيحية فى الزواج (أى نظام الزوجة الواحدة) وإن كان قد أباح تعدد الزوجات من رجل واحد . ولكنه عاد (أى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) ففضل نظام الزوجة الواحدة ؛ إذ وضع شرطاً ، وهو العدل بين النساء ؛

وهو فى ذات الوقت يقطع باستحالة إقامة العـدل بين النساء فى صراحة تامة ؛ إذ قال : « فانـكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة . . . ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

أراد بذلك أن يثبت أنه ليس للمسلمين دين ، وأن رسولهم كاذب ، وأنه قد اختلق هذا الدين ، وهذا القرآن ، وأن القرآن ملىء باللغو والتناقض « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » .

ومن العجيب أن ما يزعمـه من إباحة التعدد واستحالته فى القرآن الـكريم ؛ ليس بموجود إلا فى مخيلته : إذ أن عدم استطاعة العدل إنما كان فى العدل فى المحبة فحسب . أما العدل فى النفقة والـكسوة والمبيت : فأمر ميسور مستطاع لكل ذى قلب وعقل !

ولن أحاول أن أخوض فى الأوحال التى يخوض فيها منـكرو التعدد من الذين يبيحون الزواج الغير الشرعى ، والمخادنة ؛ حتى أن الرجل ليلتقى وعشيقته ، بامرأته وعشيقها ؛ فتتم التحية بينهما كأرق ما يكون الود ، وأحسن ما تـكون الصحبة ؛ فتعساً للأخس نفساً ، وقبحاً للأحط كرامة !

لن أخوض فى هذا وأمثاله ؛ فالخوض فيه يكلفنا الـكثير من التقزز والاشمئزاز

تبشير الإنجيل بمجيء الرسول ﷺ

وأنـكر تبشير الإنجيل بإمام الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأنـكر قول الله تعـالى فى قرآنه المجيد — على لسان عيسى عليه السلام — « ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وأنـكر إنكاراً باتاً وجود ذلك فى أناجيلهم ؛ زاعماً أن الإنجيل الذى جاء بذلك هو « إنجيل برنابا » وهو ليس معتمداً لديهم .

ويجدر بنا — قبل أن نخوض فى هذا الموضوع — أن نذكر ما جاء بانجيل برنابا فى هذا الشأن ؛ على لسان عيسى عليه السلام :

« إن كلامكم لا يعزيني ؛ لأنه يأتي ظلام حيث ترجون النور ، ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل رأي كاذب ، وسيمتد دينه ويعم العالم بأسره ؛ لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم ، وإن مما يعزيني ألا نهاية لدينه ؛ لأن الله سيحفظه صحيحاً ؛ حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : ياألله أرسل لنا رسولك ، يامحمد تعال سريعاً لخلاص العالم » (إصحاح ٩٧) .

وقال جل شأنه « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل » وقد قدمنا ذكره عليه الصلاة والسلام في الإنجيل .

وهانحن أولاء نذكر ما جاء في التوراة : جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس ؛ مخاطباً موسى : «ياموسى إني سأقيم لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم مثلك أجعل كلامي في فيه ، ويقول لهم ما آمره به ، والذي لايقبل قول ذلك النبي فالذي يتكلم باسمي أنا أنتقم منه ومن سبطه » .

العبرة بالنقل الصحيح لا بالقدم :

وتمحل المؤلف محاولا التخلص مما ألصقه بهم « إنجيل برنابا » وظل يحاور ويداور ، ويذكر أصول الأناجيل ، وأنها قديمة التاريخ قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام بمئين من السنين .

مع أن عقلاء الباحثين لم يجعلوا قدم الشيء عنواناً لصحته ؛ وإلا فهناك ماهو أقدم من هذه الأناجيل بآلاف السنين ، وقد أجمعت الديانات كلها على بطلانه ؛ كعبادات قدماء المصريين مثلا ؛ وهي عبادات وثنية لا تنتمي بحال إلى التوحيد .

إنما العبرة بالنقل الصحيح الذي يؤيده العقل والتاريخ .

ومما لاشك فيه ولامراء أن قرآننا الكريم جاءنا كما نطق به جبريل الأمين : لم ينقص حرفاً ، ولم يزد حرفاً . وقد دون هكذا من عصرنزوله حتى الآن . فلم نسمع أن هناك قرآن محمد ، وقرآن عمر ، وقرآن أبي بكر ، وقرآن علي ؛ بل هو كتاب

الله تعالى نقله جبريل الأمين ، إلى محمد الصادق الأمين ، فكتبه فى الحال الأمناء من أمته ، وتوارثناه عنهم كما هو .

ولن يدفعنى ذلك إلى التكلم فى تعدد الأناجيل ، وتباين معانيها ، واختلاف ألفاظها ؛ فليس هذا من شأننا الآن ، وليس هذا موضعه !

تزلف المؤلف لليهود :

وقد بلغ من جهل المؤلف بالعربية : أن يستدل من القرآن بما يسقط الاستدلال به ، إذ زعم (ص ٣١) أن الأمة التى عينها الله لتؤتمن على الكتاب المقدس هى أمة إسرائيل دون غيرها ، وأنه لا خلاف فى هذا بين المسيحيين واليهود والمسلمين ؛ إذ ورد صريحاً فى القرآن :

« ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » .

وهو بذلك يتزلف اليهود ويمالئهم ، ويتملق اليهود الذين يعاديهم ؛ ليستعين بهم على المسلمين : أقوياء الحجة ، أقوياء الشوكة ، عباد الله تعالى : الواحد ، الأحد ، الفرد ، الصمد ؛ الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد !

وأعماه جهله وحقده عن أن المسلمين من أولهم لآخرهم يؤمنون بما جاء به القرآن كله ، وأن الله تعالى قد آتى فعلا بنى إسرائيل الكتاب (ألم تنزل عليهم التوراة ؟) وآتاهم الحكم (ألم يجعل منهم ملوكا ؟) وآتاهم النبوة (ألم يكن منهم أنبياء : منهم عيسى الذى تؤمنون بربوبيته لا بنبوته) وأنه تعالى رزقهم من الطيبات (ألم ينزل عليهم المن والسلوى ؟) وأنه جل شأنه فضلهم على العالمين ممن سبقهم من الأمم ؛ لا ممن لحقهم . وهذا من الأمور المسلمة عقلا ونقلا وفهماً « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

الذبيح إسمعيل لا إسحق

وغلبت عليه نزعته التى يريد بها أن يجرد المسلمين من كل فخر سابق ولاحق : فتكلم فى أن النبوة فى ولد إبراهيم : إسحق ويعقوب ، دون إسمعيل ؛ وذلك لأنه يعلم أن الرسول الكريم من أبناء إسمعيل ؛ فيريد أن ينفى عنه النبوة لأنه ليس من أبناء إسحق ، ولا من أبناء يعقوب ، وبذلك يكون القرآن — فى نظره الأعمى — قد كفاه مؤنة الرد على ما ذكر عن النبي عليه الصلاة والسلام ، والتبشير به .

ويجدر بنا الآن أن نذكر ما ثبت من أن الذبيح إسمعيل عليه الصلاة والسلام لا إسحق — كما زعم اليهود ومن دار فى فلكهم — يقول الله تعالى « وبشرناه — أى إبراهيم — باسحق نبياً من الصالحين » فعلم إبراهيم من ذلك أن إسحق سيكون نبياً ؛ فكيف يذبحه صبياً ؟

وقال تعالى أيضاً « وبشرناها — أى زوج إبراهيم — بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » فكيف يجوز — عقلا — أن يذبحه طفلا قبل أن يلد يعقوب الذى وعد الله تعالى به ؟

وأكثر من هذا ؛ فقد جاء فى الإنجيل : أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وحيده .

ولا شك أن المسلمين وأهل الكتاب يعلمون أن إسمعيل هو بكر أولاده .

ولكن غرهم ما جاء فى التوراة المبدلة : اذبح ابنك إسحق .

وأول من نادى بهذه الفرية اليهود عليهم اللعنة ، وحشوا بها كتبهم وتوراتهم التى بدلوها ، وتابعهم فى ذلك صاحب هذا الكتاب « الباطل » .

وعد الله تعالى بحفظ القرآن

وقد حاول أن يثبت أن التوراة محفوظة غير مبدلة بنص القرآن واستدل ببعض آيات القرآن الكريم — استدلالا فاسداً — إذ قال : هل يعقل ياقوم أن يسمح الله بأن يتلاعب بشر ما فيما قدسه الرب ؟ وفى هذا يقول القرآن فى سورة البقرة : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون » وفى سورة الهدى (هى سورة غافر ولا يوجد بالمصحف سورة بهذا الإسم) « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب» وقال: إن القرآن يؤيد فى جلاء استحالة تحريف أقوال الله لأنه يحفظها من عبث العابثين إذ جاء فى سورة الحجر « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وفى تفسير الجلالين لهذه الآية جاء ما يأتى : أن الله يحفظ ما أنزله من التبديل والتحريف والزيادة والنقص . فاذا كنتم أيها المسلمون تؤمنون بأن القرآن منزل من السماء ، وأنه كلام الله ، وأن الله قطع عهداً على نفسه بأنه هو بذاته وليس غيره الذى أنزل التوراة وأنه سيحفظه من التحريف فكيف يقول قائل منكم : إن الكتاب قد حدث به تحريف .

إن هذا معناه الشك فيما جاء فىسورة الحجر أو فىقدرة الله علىحفظ ماأنزل. وهذان الأمران لايقبلهما أحد من المسلمين إطلاقاً .

ومن كثرة ما رأينا حرارة دفاعه عن إسرائيل وكتاب إسرائيل لم نشك فى أنه من عملاء إسرائيل ، وهو دخيل على دينه ، وعلى وطنه وعلى أمته !

وقد فاته أن سورة الحجر ابتدأت بقول الكريم الحليم الذى لم يلد ولم يولد « تلك آيات الكتاب وقرآن مبين » ومن البدهيات أنه عنى بالكتاب : القرآن ، وبالقرآن : الكتاب . وأنهما لمسمى واحد . وبعد ذلك ذكر افتراء المشركين والكافرين على إمام الرسل أجمعين : « وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون » وبدهى أيضاً لكل ذىعقل ولب أنه عنى بالذكر هنا القرآن ، وبالمجنون : سيد العقلاء ، وإمام الأنبياء ، وأفضل خلق الله لدى الله !

وبعد ذلك بآيتين اثنتين قال تعالى « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فالحفظ لا ينصب ههنا إلا على الذكر المذكور وهو القرآن . فلا التوراة ولا الإنجيل ؛ وعد الكريم الجليل بحفظه ، كما وعد بحفظ القرآن .

وجوب اتباع القرآن وحده :

ومالنا نذهب بعيداً وأمامنا الدليل الواضح الفاضح ؛ وما دام يستدل علينا بالقرآن — وهو أول كافر به ، منكر له — فهانحن أولاء نسوق من الأدلة ما يخزيه ، ويرد كيده فى نحره : يقول الله تعالى وهو أصدق القائلين « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله (القرآن) قالوا نؤمن بما أنزل علينا (التوراة والإنجيل) ويكفرون بما وراءه (القرآن) وهو الحق مصدقاً لما معهم (من التوراة والإنجيل) » وقال جل شأنه « وأنزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » .

فاذا افترضنا جدلا صحة التوراة المبدلة ، وصحة الأناجيل — المتعددة الأسماء ، المتعددة المعانى ، المتباينة المرامى — وجب على أصحاب هذه الكتب اتباع الكتاب الأسمى الأقدس ، الذى نزل به الروح الأمين على قلب أكرم المخلوقات ، وأسماها خلقاً ، وأعلاها قدراً وشأناً ، لأن رسالته مهيمنة على سائر الرسالات ، وكتابه — الذى جاء به — مهيمناً على سائر الكتب !

وحاول هذا العلامة الكبير أن يقول : إن الكتاب المقدس هو المصدر الأصلى للقرآن ؛ ولم يرد بذلك إعلاء دينه ، أو إعلاء كتابه ؛ بل أراد أن يغض من شأن الرسول العظيم ، والقرآن الكريم ؛ ويستعين بقول مشركى العرب ؛ الذين قال القرآن فى شأنهم « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا » فقال بعد ذلك : إن الدليل على صحة قوله ما جاء فى سورة الفرقان « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون » وما جاء فى سورة النحل « ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر » .

وبعد ذلك يبالغ فى طعنه وتكذيبه فيقول : وسواء أكان هذا صحيحاً كما أوردنا وكما ذكرنا ، أو أكان كذباً افتراه عليه قوم ؛ فإن محمداً نفسه يدلل على صحة ماجاء بالقرآن بأنه مما ورد فى الكتاب المقدس ، ويقول : إن الله قال له : « فان كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » والكتاب المقصود هو التوراة بعهديه القديم والجديد ؛ وما دام القرآن يعلن ذلك صراحة فهل يمكن أن يستشهد الله بما يعلم أنه مزيف وبه تزوير ؟

وفاته أن الإنجيل قد جاء موافقاً لأغلب مافى التوراة ، والقرآن الكريم قد جاء موافقاً ومصدقاً لما جاء فى التوراة والإنجيل ؛ بل لما فى صحف إبراهيم أيضاً ، وليس فى هذا غضاضة إطلاقاً . فالكل من الله سبحانه ؛ بيد أن ما لا يتفق والقرآن من الكتابين ؛ فليس منهما فى شىء ، وليس مما أنزله الله تعالى ؛ بل مما بدله وزيفه رؤساء الديانتين وكهانهما .

أمية الرسول ﷺ

وقد قلنا فيما سبق : إن قدم الباطل لا يصيره حقاً ، وإنما الحق يشهد على نفسه بنفسه ، والقرآن الكريم ، قد نزل على قلب الرسول العظيم ؛ بعد أن قطع الله تعالى ألسنة المعارضين ، وحجج المعاندين بأمية الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . قال تعالى مخاطباً رسوله الأعظم « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون » فليدع الغمز واللمز، وليسكن إلى ماوقع فيه : من الكفر بالإسلام ، والجهل بالمسيحية التى يزعم اعتناقها !

والمسيحية — فى ذاتها — لا تحض على السبيل الذى سلكه بل تمقته وتحرمه ؛ كما أن ديننا الحنيف يحض على السلام والوئام !

ولم يغب على الكتاب الكريم أمثال هذا الرجل الأوكس(١) فأشار إليهم بقوله جل شأنه « الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب » .

« قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون » .

إختلاف الأناجيل

أما الدقة البالغة التى زعمها عند نسخ الكتاب المقدس ، وكيف كان يحصى عدد حروف كل كلمة ، وكيف كان الكاتب يغتسل ويغسل قلمه قبل النسخ . فهذا الكلام — إن صح — لا يكون دليلا على صحة المنسوخ ؛ بل دليلا على نظافة الناسخ !

وأين كان إحصاء الأحرف ، وقد اختلفت الكلمات ، وتباينت المعانى ؟ بل اختلفت النسخ برمتها بأسمائها ومسمياتها .

أما كتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فلن أقول : كيف نزل ؟ وكيف كتب ؟ وكيف قرىء ؟ فأنت تعلم كل ذلك « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب » .

وتكلم بعد ذلك عن الأناجيل وترجماتها المتعددة ، ونسخها المنتشرة فى أنحاء العالم ؛ الأمر الذى لا يصح ذكره بالنسبة لكتاب سماوى نزل من لدن رب الأرض والسماء ! فكم رأينا تراجم لا حصر لها ، وانتشاراً لا أمد له لكتب ألفها بعض الأشخاص : لا تزيد عن كونها رواية تافهة تحوى من الأدب أحطه ، ومن المعانى أخسها وأدناها .

---

(١) الأوكس الخسيس .

صحة القرآن الكريم

أما القرآن الكريم — النازل من الله ، والمحفوظ بعناية الله — فقد نقش على قلوب مئات الملايين من البشر؛ يعيش منهم الآن حوالى خمسمائة مليون مؤمن ، كلهم يؤمن بالله حق الإيمان ، ويعرفه حق المعرفة ، ويخشاه حق الخشية ، ويرجوه كل الرجاء ، لايشرك معه أحداً فى العبادة ، ولا يزعم له شريكا ، ولا ولداً ، ولا صاحبة ؛ إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت آياته ازدادوا إيماناً على إيمانهم « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون » .

لم يحاول أحد هؤلاء المؤمنين أن يغير من القرآن حرفاً واحداً ، أو يبدل كلمة واحدة بغيرها .

ولو أراد إنسان ما إبدال كلمة من القرآن ؛ لما وجد لها مثيلا ولا شبيهاً ، ولو اجتمع معه أهل اللغة العربية — من بدء نشأتها حتى قيام الساعة — فهو يشهد بدقيق لفظه ، وروائع معناه أنه من صنع الله تعالى ، وأنه ليس من صنيع المخلوقين « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

معنى ”الإنجيل“

وثالثة الأثافى(١) أنه يقول (ص ٦٠) إن كلمة « إنجيل » عربت عن اليونانية ؛

---

(١) الأثافى : جمع أثفية ؛ وهى الحجر توضع عليه القدر ، فان لم يجدوا سوى اثنتان : أسندوا القدر الى الجبل ؛ فسمى ثالثة الأثافى . ويقال : رماه الله بثالثة الأثافى . أى بداهية عظيمة كالجبل .

وهي بمعنى أخبار سارة . وهذه الأخبار السارة : تسمى « إنجيل » سواء أكان المسيح هو الذى بشر بها أو تلاميذه ، والمسيحيين يطلقون على العهد الجديد كله كلمة « إنجيل » فكل ما جاء به أخبار سارة وسعيدة ؛ فرسائل بولس وبطرس ؛ يطلق عليها « إنجيل » .

وهنا تقطع جهيزة قول كل خطيب(١) ؛ ويصير جهادنا فى غير عدو . فقد اتفقنا أن كل أخبار سارة تعتبر « إنجيل » ، وكل رسالة تحمل بشارة تصير بقدرة قادر « انجيل » أيضاً .

وهنا شعرت بالأسى العظيم الذى لحق المسلمين ، وبالمجد التليد الذى أضاعوه على أنفسهم ؛ فكم عندنا آلاف من المؤلفات ، الواجب تسميتها « القرآن » بل ملايين منه ؛ وكم من كتاب إسلامى يحمل البشارات تلو البشارات ، والأخبار السارة تلو الأخبار ؛ ونحن عنه لاهون غافلون !

يا سيدى القمص : إن كنت تفخر علينا بأربعة كتب أو خمسة تسمونها انجيلا لما تحمله من الأخبار السارة ، فان لدينا من الكتب ما يبلغ زهاء الخمسة ملايين كلها تحمل الأخبار السارة ، وكلها — طبقاً لهذه القاعدة الفاسدة — تحمل اسم « القرآن » ويالضياع الأديان ، ويالضياع الكتب السماوية بين أصحاب الأخبار السارة ، والأنباء المفرحة !؟

ضياع أصل التوراة والإنجيل

وهكذا يريد الله تعالى أن يخزى مؤلف « الباطل » بعمله ، ويفضحه بقوله !

---

(١) جاء فى المثل : قطعت جهيزة قول كل خطيب . وقصة ذلك : أن قتل رجل من إحدى القبائل رجلا من قبيلة أخرى ، واختفى القاتل . فجمع أهله الكبراء والعظماء وساروا إلى قبيلة المقتول ؛ ساعين لارضائهم وبذل الدية لهم ، فلما اجتمع القوم : تكلم المتكلم ، ونصح الناصح ، وخطب الخطيب . وبينما هم كذلك إذا بامرأة — يقال لها جهيزة — تصيح بهم قائلة : لقد لقى ولى المقتول القاتل فقتله فى قتيله . فقيل : قطعت جهيزة قول كل خطيب . إذ لم يعد مكان لخطبهم .

فيقول بعد ذلك (ص ٦٢) بعظمة لسانه كما يقولون : إن النسخ الأصلية للتوراة والإنجيل قد فقدت ، ولكن بعد مرور عدة أجيال ، وكانت قد انتشرت فى أنحاء العالم عن طريق النسخ .

وبعد ذلك يتساءل — متحيراً ومحيراً — قائلا : والذى يحار له الإنسان ؛ هو لماذا لايحفظها القدير من التلاشى ؟

والإجابة على ذلك لا تحتاج إلى كبير عناء ، أو مزيد من الجهد : لم يحفظها العلى القدير ؛ لأنه لم يعد بحفظها ، كما وعد فى قرآنه الكريم « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » لم يحفظها لأنه نسخها بما جاء بعدها من الكتاب الذى أنزله مهيمناً على سائر الكتب ، على رسوله الذى جاء مهيمناً على كل الرسالات وخاتماً لها .

أفهمت لماذا لم يحفظ الله تعالى الإنجيل من الضياع ، وحفظ قرآنه الكريم كما ترى وتحس ؟

أما قولك : إن الله تعالى أضاعها ولم يحفظها ؛ خشية أن يعبدها الناس . فهو قول أتفه من أن يرد عليه ، وياليتهم عبدوا التوراة والإنجيل — وهما كتابان نزلا من عند الله تعالى — ولم يعبدوا عيسى وأمه ، وهما عباداً لله ، أمثالهم « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » .

تحريف التوراة والإنجيل

وقد أراد الله تعالى — بواسع فضله ، ومزيد بره — أن يفضح ستر المؤلف ، ويكشف أمره ، فقال بفقدان أصول التوراة والإنجيل ، وأن تمسكهم بما فى أيديهم من نسخها لمجرد قدمه لالصحته ، ولتداوله لا لتعقله .

وانظر — ياهداك الله ورعاك — إلى التناقض البين بين ما جاء فى إنجيل متى ، وما جاء فى إنجيل لوقا !

فقد جاء فى متى : « أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم » متى ٥ — ٤٤

وهو — كما ترى — إفراط لا يقوى عليه بشر !

وجاء فى لوقا : « أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أحكم عليهم فائتوا بهم إلى هنا واذبحوهم تحت أقدامى » لوقا ١٩ — ٢٧ .

كما جاء فى الإصحاح العاشر من إنجيل متى : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً . فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه ، والإبنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها ، وأعداء الإنسان أهل بيته »

فانظر إلى مدى التباين بين الحالين : رأفة لا تحتمل ولا يتصورها عقل ، وقسوة بالغة لا يقول بها عاقل !

وكلاهما ينم عن غفلة وحمق ظاهرين ، لا يصح نسبتهما بحال إلى أحد الأنبياء المكرمين ، عليهم أفضل الصلاة والسلام .

بل فيهما ما يصح نسبته إلى أحد الشياطين !

وإن شئنا أن نوازن بين الكتابين والقرآن الكريم — حيث لا موازنة — لما وسعتنا هذه العجالة . ولكننا نكتفى بذكر آية واحدة من القرآن !

« ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »

فلم يقل : باركوا لاعنيكم ، ولا اذبحوهم تحت أقدامى . بل قال ما يصح أن ينسب إلى الإله الحق ، المعبود بحق ، المنزل القرآن بالحق !

وجاء أيضاً فى الوصية التاسعة « لا تشهد على قريبك بالزور »

وهو قيد بالقريب فحسب . ومفهوم المخالفة يقتضى أن أشهد بالزور على غير القريب .

فأين هذا من قول الحكيم العليم : « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين »

وإن شئنا أن نتسع فى هذا المجال . لطال بنا الجدال ، وقد ينحرف بنا المقال .

هذا ويعتبر من أصول المسيحية : ترك الدنيا بما فيها ، والهروب من عالم الملك إلى عالم الملكوت ، وذم الغنى وتقبيحه .

وجاء فى الإصحاح السادس من إنجيل متى :

« لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون »

ولا ندرى كيف يعيشون ؟ وكيف يتعبدون ؟

وجاء فى الإصحاح التاسع عشر !

« الحق أقول لكم : انه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات ، وأقول لكم أيضاً : ان مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله »

فوارحمتا لسليمان بن داود عليهما السلام فإن الله تعالى قضى عليه — بزعمهم — ألا يدخل ملكوته ، ولا يلج جنته !

وجاء فى الإصحاح التاسع عشر من متى أيضاً :

« ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يقبل فليقبل »

وهنا نجد أن ملكوت السموات قد قصره الله تعالى على الذين لا يضعون لقمة فى بطونهم ، ولا شربة ماء فى حلوقهم ، ولا مزقة لباس على أبدانهم ، ولا درهما فى أيديهم ، والذى زاد الطين بلة ، وجاء ضغثاً على إبالة : وجوب أن يخصى كل منا نفسه لأجل ملكوت ربه !

وأين يكون النسل بعد الخصاء ؟ وهل يوقف النسل على الأشرار والفجار ؛ دون الأتقياء والصلحاء ؟ !

ووارحمتا لداود عليه السلام ؛ وقد اقتنى — كما يزعمون — من النساء تسعاً وتسعين ، ورغب أن يجاوزهن إلى المئين !

وتحريف التوراة والإنجيل : أمر لا يصح أن يختلف فيه اثنان . ويكفى ذكر آية واحدة من أيهما : فيسلم كل عاقل — من أى دين ومن أى جنس — بأن ما فيهما زيف وزور !

وإلا فهل يصدق إنسان يعقل أن الله تعالى — بجلاله وكماله ، وقدرته وقوته — يندم ويحزن ويأسف ؛ كما ورد فى الباب السادس من سفر التكوين : أن الله تعالى ندم على خلق الإنسان ، وحزن وتأسف !

وهذا يدل على أنه كان عاجزاً وجاهلا ، وطائشاً .

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

وزاد هـذا الأمر وضوحاً وإيضاحاً ما نشر — عن طريقهم — فى الجرائد السيارة أخيراً . من نبإ عثورهم على نسخة صحيحة من الإنجيل ، أذاعوا صحتها وبطلان ما عداها مما كان فى أيديهم معتمداً لديهم عشرات القرون .

وإذا أراد أن يتنصل ممـا قاله فى كتابه ، أو يؤوله إلى معنى لايحتمله ؛ فإنا نجابهه بالخبر اليقين : فقد طلعت علينا جريدة الأهرام فى عددها الصادر يوم الأربعاء ١٦ مارس سنة ١٩٦٦ بصفحتها السادسة بخبر تحت عنوان :

« أول ترجمة عربية للـكتاب المقدس فى مصر »

انتهت الـكنيسة القبطية لأول مرة من ترجمة الـكتاب المقـدس بعهديه القديم والجديد ، نقلا عن اليونانية القديمة ، بعد أن تبين أن الترجمات الحالية ضعيفة ، وأسلوبها العربى ركيك ؛ كما سقطت منها بعض الجمل ، أو حذفت ، أو حورت ، مع التصرف فى الأصل اليونانى نفسه .

وقد قام بالترجمة القمص قزمان البراموسى . تحت إشراف قداسة البابا كيرلس السادس ، ويقوم بمراجعتها الدكتوران صموئيل كامل عبد السيد ، وفؤاد حسنين على . الأستاذان بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

وندعو الله تعالى جاهدين أن يوفق القائمين بهذا الأمر الخطير الجليل ويسدد خطاهم : لنخلص من نسبة الخطإ إلى الله تعالى ، ونستنير بكلامه ، الذى طمسته جهالة الجاهلين ، وخسة الناقلين ، ومسخ الناسخين ؟

ونجد فيه — معشر المسلمين — مايطمئننا على صحته ، وتوافقه مع الـكتاب الـكريم ، الذى أنزله الله تعالى مصدقاً له ، ومهيمناً عليه !

كتابة القرآن الكريم

وقد حاول أن ينال من القرآن الكريم ، ويشكك فى صحته ، وصحة نقله ، فاستدل بقول ابن حزم الظاهرى فى كتابه (الملل والأهواء والنحل) وقد أخطأه الدليل ، وبان عنه ما أراده ، وقد أراد للقرآن الكريم خفضاً : فاستدل بما رفعه رفعاً ، وزاده قوة ومنعة ؛ وقديماً قال الشاعر :

ما يضر البحر أمسى زاخراً   أن رمى فيه غلام بحجر

فقد نقل عن الإمام ابن حزم قوله : إن القرآن مكتوب فى المصاحف وعلى الرقوق والأحجار وعظام الحيوانات وسعف النخل ، وأن الإمام الغزالى قال : إنه محفوظ فى القلوب .

وتساءل الجاهل (ص ٨١) قائلا : فهل يمكن عند جمع القرآن الحصول على كل الرقوق والأحجار وعظام الحيوانات التى كتب عليها . . ولم يفقد منها شىء ؟ وما قول الإمام الظاهرى فى هذا يا ترى ؟ وهل نضمن أن حفاظ القرآن لم ينسوا منه شيئاً وقت أن كتبوه فى المصاحف من أفواه هؤلاء الحفاظ ؟

ولا أدرى ولا المنجم يدرى ماذا يريد بتساؤله هذا ؟

وأى غضاضة فى كتابة القرآن على الرقوق والأحجار والعظام وسعف النخل ؟ وأى غضاضة فى حفظ المسلمين له فى قلوبهم ؟ وأى غضاضة فى نقله وإثباته بعد ذلك فى المصحف من الرقوق والأحجار وسعف النخل ، ومطابقة ما وقر فى قلوب المؤمنين منه على هذه الرقوق والأحجار ؟

أيريد أن ينزل بمستوى نقل القرآن إلينا ؛ إلى المستوى الذى وصل إليه نقل الإنجيل — بل الأناجيل — إليهم ؛ وقد اعترف بلسانه بضياع أصوله وفروعه ؟!

يا هذا أن القرآن الكريم — من بدء نزوله حتى الآن — يحفظه حفاظ المؤمنين فى صدورهم ، وينقلونه كابراً عن كابر ؛ فهو مكتوب ؛ كما هو مقروء ، كما

هو مسموع ؛ كما هو نازل من لدن رب العزة ، كما شافه به جبريل الأمين محمداً الصادق الأمين !

وغير خاف أن من أطفال المؤمنين من يحفظ القرآن كاملا غير منقوص عن ظهر قلب ، ولو شئت لأحضرت لك المآت — بل الآلاف — من أطفال لم يتجاوز سنهم العاشرة بعد : يحفظون القرآن كما أنزل . وهذا جميعه من آيات حفظ الله تعالى له ، وعنايته به ، وبمن أنزل عليه ، وبمن أنزل إليهم !

وبذلك يكون لدينا الآن صنفان من الكتب السماوية الكريمة : كتاب وعد الله بحفظه وحفظه من أدنى ارتياب ؛ فتلقفه من أنزل إليهم بالحفظ والفهم ، والعلم والعمل ؛ والدراسة . فصار نبراساً لهم يهتدون بهديه ، ويأتمرون بأمره ، وينتهون بنهيه ، ويصونونه ويدافعون عنه بالأرواح والمهج ؛ وهو لديهم خير من أنفسهم وأبنائهم ودنياهم وما فيها . هذا صنف .

والصنف الآخر : كتب سماوية (لنزولها من السماء) مقدسة (لإرسالها من الرب سبحانه وتعالى) ولكن هذه الكتب قضى مرسلها جل شأنه عليها بالضياع ؛ فضاعت أصولها ، ولم يبق منها سوى بضع آيات نجت من أيدى العابثين فتلألأت تلألؤ النجوم فى الليل الأليل البهيم ، وتألقت تألق الماس ، فى يد الكناس !

وهذه الكتب تلقفها من أنزلت إليهم بالزيادة والنقصان ، والتبديل والكتمان ؛ وأنشأ كل زعيم لهم ، ومترئس عليهم كتاباً على هواه ؛ زاعماً أنه هو بعينه ؛ حتى تباينت تلكم الكتب ، وتعددت أسماء منشئيها ومخترعيها ؛ فزال عن هذه الكتب رونقها ، وخبا ضوؤها ، لنسبتها إلى الأرض ، بعد أن كانت منيرة عند نزولها من السماء !

ولسنا نتقول عليهم هذا : بل هو قولهم هم الذى يدافعون به عن أنفسهم ؛ فصار دفاعهم وبالا عليهم ، وخزياً لهم !

الصّلبُ

وبعد ذلك تطرق إلى الصلب ، وأنه حقيقة واقعة ؛ وهو أمر لا ننازعه فيه بشيء لأنه لايتناول معتقداتنا — التي هي حق كلها — إلا بقدر اختلافنا معهم فى أن الصلب لم يكن حقيقة واقعة بل تشبيه ، ولا أريد أن أطيل فى ذلك ؛ ففى كتاباتهم — ولا أقول كتبهم — إذ ليس لكتبهم أصل يرجع إليه ، أو يعتمد عليه . فيها ما يؤدى إلى التشبيه فى الصلب ، والتشبيه : هو الحقيقة الواقعة التى قررها الكتاب المجيد ؛ الذى لا يضيره طعن الطاعنين ، ولا ينقضه إفك الأفاكين !

أما تساؤله بعد ذلك متعجباً (ص ٨٥) ما هى الحكمة فى أن الله يخفى خبر هذه الخدعة نحو ستة قرون ، ثم يرى أن يعلن الحقيقة للبشر ؟

ثم تعجب كيف أن القرآن لم يذكر من هوهذا الشخص الذى وقع عليه اختيار الله ليوقع شبه المسيح عليه ؟

وتساءل أيضاً : لماذا وقف الله من شرذمة من عباده هذا الموقف العجيب فيحتال لتنفيذ مشيئته إلى مثل هذه الحيلة التى تتجافى مع العدالة ، ومع الكرامة ، وهو القادر !

أعمال الله تعالى : القادر ، القاهر ، العفو ، المنتقم ؛ فى نظر مؤلف « الباطل » تتجافى مع العدالة ، ومع الكرامة !

وما دمنا فى مجال العدالة والكرامة : فأى كرامة ، وأى عدالة فيما يزعمون من أن الرب — تعالى عما يقولون — قتل ابنه الوحيد البكر صلباً ، وأزهق روحه بأسوإ ما تزهق به الأرواح ؟!

إنا نطالب مؤلف « الباطل » بقليل من التبصر ، وقليل من التعقل ، بل بقليل من الحياء !

إنه لمن نكد الدنيا أن يقوم مثله فيعيب الإسلام ، ويعيب القرآن ، ويعيب رسول الإسلام وإمام الرسل . بأقوال لا ترتقى إلى أقدام المسلمين الموحدين !

ثم بعد ذلك يعيب الرب تعالى ، ويسفه أفعاله ، ويصفها بمجافاة العدل والكرامة !

إن من يستطيع أن يرفع بصره إلى أرقى الرسالات السماوية فيعيبها ، وإلى أصدق الناس وإمام الرسل جميعاً فيصمه بالكذب ، وإلى أسمى الكتب فيصفه بالتناقض ، وإلى الرب تعالى فيسمه بالاحتيال والظلم .

إن من يستطيع أن يبلغ مثل هذا الشأو فى الحمق والكفر والجهل : لهو المتخبط فى دياجير الجهل ، المنغمس فى حمأة النجاسات ، المتقلب فى أوحال الخطايا والدنايا !

وبعد ذلك تبجح كعادته قائلا : سنثبت من القرآن نفسه أن المسيح هو الذى صلب ، خلافاً لما سبق وأعلنه القرآن نفسه من أنه لم يصلب .

وجعل يسوق كلاماً غثاً ، يبعث على الضحك والاشمئزاز معاً !

إذ قال « فالتفت الرب » (أى المسيح المصلوب فى زعمه) ولا أدرى أى رب هذا الذى لايدفع عن نفسه عادية المعتدين ؟!

وهكذا ظللنا نتتبع بضع صفحات لنرى ما زعمه دليلا من القرآن على صلب المسيح فلم يذكر شيئاً .

وبعد ذلك تمخض الجبل فولد فأراً فذكر (ص ٩٩) قوله تعالى « إذ قال الله ياعيسى إنى متوفيك ورافعك » وقوله جل عن الصاحبة والولد على لسان عيسى عليه السلام « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » وبهذا يجب الاعتراف بصلب المسيح ؛ ما دام التوراة والإنجيل والقرآن والتاريخ قد أثبتوا ذلك !

فأبان بما قاله عن جهل بالغ فاضح : إذ أن القرآن الكريم فى هذه الآيات ونظائرها لم ينكر موت المسيح ؛ بل أنكر صلبه !

القرآن أنكر الصلب والعقول السليمة المستقيمة تنكر سبب الصلب الذى يزعمونه !

إذ أن الرب الذى لا يستطيع أن يغفر لعبيده ذنوبهم ، ويرفع عنهم إصرهم ؛ إلا إذا أراق دم ابنه الوحيد على أيدى العصاة من عبيده . لا يكون رباً ، ولا يكون قادراً ، ولا يجوز أن يعبد !

وهل دم السيد المسيح يتناول بالغفران من أراقوه أيضاً ؛ أم هم فى حاجة إلى مولود آخر لله ؛ يراق دمه على مذبح العجز والخبل اللذين ينسبونهما إلى الله؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

التثليث

وبعد ذلك زعم أن القرآن اعترف فى غير لبس بأن الله واحد فى ثلاثة أقانيم كالمسيحيين تماماً .

وتساءل — وكل إفكه تساؤل — تساءل : إذا كان القرآن لا يؤمن بهذه الأقانيم الثلاثة ويعتبر هذا شركاً بالله ؛ فلماذا اعترف بأن المسيحيين مؤمنين ولهم الجنة ولا خوف عليهم ، وإذن فيكون القرآن قد وعد المشركين بالجنة !

وهو بذلك يشير — كما أشار فى موضع آخر من كتابه — إلى قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون » .

وأنا بدورى أستحلفه بالمسيح الحى ؛ هل يرضى أن يكون مع اليهود ؟ وأترك الإجابة لقلبه ووجدانه ؛ لا للسانه وجدله ؛ وأطلب له قليلا من الخجل !

شروط الإيمان

فإذا كان مؤمناً بما جاء فى القرآن ، فقد اشترط القرآن فى هذه الآية : الإيمان بالله « من آمن بالله » ولا يتم الإيمان بالله إلا إذا تم الإيمان برسله ، وإمام الرسل جميعاً : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، إمامهم وخاتمهم ، وأقربهم

من الله ؛ هو محمد بن عبد الله ؛ النبي الأمي ، الذى جاءنا بالقرآن المبين ، من رب العالمين ؛ فإذا كنت تؤمن بهؤلاء جميعاً — ولا أتوهم ذلك — فأنت من الناجين الذين تشملهم هذه الآية الكريمة .

وإذا كنت تؤمن بعيسى — إلها لا رسولا — فأنت ممن يكفرون بالله ، ولا يدخلون فى عداد المؤمنين به .

وإذا كنت تؤمن بسائر الأنبياء ، وتكفر بمحمد وما أنزل عليه ؛ فأنت فى مقدمة الكفار أصحاب النار ؛ وبالتالى ممن لايدخلون الجنة ولا يجدون ريحها !

وضابط الإيمان فى هذه الآية التى أردتها وأوردتها : قوله تعالى لأمثالك : « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله (على محمد رسوله) قالوا نؤمن بما أنزل علينا (من التوراة والإنجيل) ويكفرون بما وراءه (القرآن) وهو الحق مصدقاً لما معهم » .

وجماع الإيمان الحقيق ، الجدير بالجنة ونعيمها ، ورضا الله تعالى ومغفرته ؛ هو قوله تعالى :

قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾

وقوله جل شأنه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾

فهل أنت تؤمن بالرسل جميعاً ، وما أنزل إليهم جميعاً ؟ كإيماننا نحن المسلمين ، أم تؤمن ببعض ، وتكفر ببعض ؟

إن هذه أسئلة تحمل بين طياتها إجابتك ، وإجابة أمثالك ؛ لقد قال الله تعالى فى شأن أمثالك كما قدمنا « وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق » .

أفهمت الآن يامتطفل على مائدة القرآن ؟ وجاهل بما فى الإنجيل ؛ كيف يكون الإيمان الصحيح — الذى نحن عليه — وإيمانك الممسوخ الذى أنت عليه ؟

وبعد ذلك أقام الدليل من التوراة على تعدد الآلهة ؛ مع اعترافهم بالتوحيد ، وهو منطق غير مفهوم ؛ يريد به أن التعدد مراد به الأقانيم ، وهو قول هراء لا يغطى جهله المفضوح !

وزاد من جهله وضوحاً أن نسب للقرآن الكريم ؛ الاعتراف بهذه الأقانيم (ص ١٠٩) واستدل لذلك بقول الواحد الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناها (جعلناه) نطفة فى قرار

مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحماً ، ثم أنشأناه خلقاً آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين » .

وتساءل بعد ذلك — تثبيتاً لجهله — إذا كان الخالق واحداً ؛ فكيف يكون أحسن الخالقين إذن ، إلا إذا قورن بغيره ممن لهم قدرة على الخلق ؟

فإما أن القرآن يشير بذلك إلى تعدد الآلهة الخالقين ؛ على مقتضى اعتقاد قدماء الإغريق ، الذين جعلوا لكل شيء إلهاً ؛ بهذا يكون : من خلق الإنسان أحسن ممن خلق الحيوان ، ومن خلق الحيوان أحسن ممن خلق النبات ، وهلم جرا ، مع تفاوت درجات الألوهية بينهم ، ولا يمكن أن يكون هذا قصده وهو الداعى إلى التوحيد .

وإذا كان القرآن فى قوله عن الله « فتبارك الله أحسن الخالقين » لا يشير إلى تعدد الآلهة فالى ما يشير إذن ؟ (انتهى قوله)

ثم أراد بعد ذلك أن يبين لنا سعة علمه — التى هى الجهل المطبق بعينه — فقال : إن نسبة جمع المذكر السالم فى القرآن إلى الله يدل على أحد أمرين :

(١) إلى تعدد الآلهة ، وهذا هو الشرك بالله ؛ لأن الجمع لا يكون إلا فيما زاد على اثنين .

(٢) أو إلى تعدد الأقانيم فى الإله الواحد ؛ وهو التثليث عند المسيحيين .

وإذا لم يكن لا هذا ولا ذاك ؛ فقولوا لنا ماذا كان يقصد بقوله « أحسن الخالقين » ومن هو ؟ ومن هم شركاؤه فى الخلق ؟

بمثل هذا ينطق رجل كاهن كنيسة، مفترض فيه أن يعلم — على الأقل — ما يعلمه صبيان الكتاتيب ، ومثل هذا الكلام لا يحتاج إلى رد ، ولكن ما الحيلة ونحن حيال رجل كنيسة لم يجد من العلم ما يستطيع أن يسمعه لأبناء ملته ، فانطلق بقذارة علمه — لا بغزارته — يلوث كل ما يلمسه من مقدسات طهرها الله تعالى من أن ينالها مثله . وياليته تكلم عالماً ؛ إذن لخاطبناه مخاطبة العالم ، أو تكلم متعلماً ؛ إذن لخاطبناه مخاطبة المتعلم ولهديناه إلى طريق السداد والرشاد ، أو تكلم عاقلا ؛ إذن لخاطبناه مخاطبة العاقل المتعلم .

أما وقد تكلم جاهلا، متكبراً ، معتوهاً ، فليس له لدينا سوى التقويم باللسان ، فان لم يقومه المنطق ، فليقومه السجن الذى أعد لأمثاله من الخارجين على النظام والدين والقانون .

وليس معنى ذلك عجزنا عن الرد على مثل هذه الترهات : فانه لو كان عنده أدنى إلمام بمبادىء اللغة العربية ؛ لما قال ما قال !

يقال : خلق الشيء : أوجده على غير مثال سبق ، وخلق الكلام: صنعه . وخلق النطع — بكسر النون المشددة لا بفتحها — قدره وحزره ، أوقدره قبل أن يقطعه. وخلق العود: سواه .

فكل هؤلاء خالقون ، وتبارك الله أحسن الخالقين !

ومثال ذلك « الرب » ، وهو المالك المطاع ، الواجب العبادة . وهو إن أطلق لا ينصرف إلا على الله سبحانه وتعالى ، وإن أضيف ، جاز إطلاقه على غيره تعالى فيقال : رب الدار ، ورب الأسرة .

ويطلق أيضاً « الرب » على السيد . ومنه قوله تعالى « ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة » أى ارجع إلى سيدك ، ورب كل شيء : مالكه ومستحقه .

ولذا يصح أن يقال : رب الأرباب ، وخير الأرباب . كما قيل « أحسن الخالقين » .

أفهمت أم لم تفهم ؟

وبعد ذلك استمر فى لغوه وباطله ؛ مستدلا على التثليث عند المسلمين وفى قرآنهم ، فقال : إن الله ، والكلمة ، والروح : واحد ، واستدل — مبطلا — بقول الواحد الأحد ، الذى لم يلد ولم يولد « إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه » .

والآية تقول « رسول الله » ، ولم تقل « الله » .

وساق آية أخرى عقد فهمها ، بفهمه المعقد ، فقال : وجاء أيضاً « إذ قالت

الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه عيسى ابن مريم » (صحتها اسمه المسيح عيسى ابن مريم) .

واستمر فى جهالته قائلا : إن الله لم يقـل : بكلمة منه اسمها ، بل قال « اسمه » بيد أن الكلمة مؤنث . وإذن فالهاء لا تعود على الكلمة ، وبذلك يكون القرآن قد قصد بالكلمة شيئاً له قوميته فى ذاته ، وهو « المسيح عيسى ابن مريم »

وبديهى أن الكلمة : هى ذات وجود دائم ملازم للتكلم .. وحيث إن مصدر الكلمة هو الله المستفاد من قوله « بكلمة منه » ولا يمكن أن يضع القرآن كلمة « منه » عبثاً وبدون قصد معلوم ، وبديهى أن كل شىء فى الله واحد ، وما دام المسيح « كلمة من الله » فهو إذن أزلى بأزليته ، ومساو له ، وإذن فله طبيعة الله ، وصفاته ، وإذن فهو الله ظهر فى الجسد (١ تى ١) .

فانظر — يارعاك الله — إلى هذا التسلسل العجيب ، الذى لا يتفق مع عقـل من عقول البشر ، إلا عقول أمثال القمص الذى ليس له مثال !

مادام المسيح « كلمة من الله » فهو إذن أزلى بأزلية الله ، ومساو له ، له طبيعة الله وصفاته !

فاعجب معى أيها القارىء الكريم — مسلماً كنت أو مسيحياً ، أو يهودياً — اعجب معى من الإنسان الذى صار أزليا بأزلية الله ، ومساو له وله طبيعته . فهل صارت له كل هذه الصفات وتلكم السمات ؛ قبل أن ينفخ جبريل عليه السلام فى أمه مريم ، أو بعد النفخ ؟

وأين هذه الأزلية يا معشر العقلاء ؟ !

وكيف تلحق الأزلية إنساناً حادثاً ؟

إن هذه الأزلية لم تلحق جبريل عليه السلام ، الذى نفخ فى مريم فأنجبت عيسى !

واستمر فى هذا الإفك ؛ فقال : وقد أيد هذا كبار أئمة الإسلام : إذ جاء فى كتاب أصول الدين لأبى الخير الطيب ، الذى عاصر الإمام أبى حامد الغزالى :

لاريب فى أن لباب المسيحية هو الإنجيل ، ورسائل بولس الرسول ، وأخبار الحواريين . وهذه الكتب وأقوال علماء النصارى المنبثة فى آفاق الأرض تشهد بتوحيدهم ، وأن أسماء الآب والإبن ، والروح القدس : إنما هى أسماء الأقانيم الثلاثة فى ذاته الواحد .

وهذا القول — لو صح أن هناك كتابا بهذا الإسم ألف بهذه السمة — فهو رأى أحد الأفراد ولايعول عليه ؛ إذ أننا لو قلنا بأن الأقانيم الثلاثة : صفات لإله واحد لابأس فى ذلك ؛ فلله عندنا تسعة وتسعين اسماً ؛ ولكننا بدورنا نتساءل : من هو الله ذو الثلاثة أقانيم ؟ أهو المسيح نفسه ؟ أم أن المسيح أحد هذه الأقانيم كما يبدو ؟

ولماذا يكون عيسى ابناً لله ، وأقنوما له ؟ ألأنه وجد من غير أب ؟ ولدينا آدم — وخلقته تفوق خلقة عيسى عجبا — ألم يخلق من غيرأب ولا أم ؟ « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » .

ألا ترى أن المماثلة — من أول وهلة — لا تستقيم ؛ رغم ورودها فى القرآن : إذ أن عيسى خلق من غير أب ، وآدم خلق من غير أب ولا أم ؛ فالمماثلة لا تتفق والحالة هذه فى نظرك .

ولكنى أعود فأذكرك بأن الله تعالى لم يرد هذه المماثلة ؛ بل أراد المماثلة فى « الكلمة » التى حيرتكم وأذهبت ألبابكم ؟

ألا ترى إلى قول الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد « ثم قال له كن فيكون » فالمماثلة إذن فى لفظ « كن » فقد كان عيسى بها ، كما كان آدم بها ، كما كانت كل المخلوقات أيضا بها « إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » وهى ماعناه الحكيم المتعال بقوله « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » أفهمت — بعد كل هذا — أم لم تفهم ؟

بطلان التثليث عند المسلمين

وازداد فى غيه ، وبغيه على الإسلام والمسلمين ؛ فأورد ما أسماه بأدلة إيمان

المسلمين بالتثليث ؛ وياليته ما أورد هذه الأدلة ليحتفظ لنفسه ببقية من إدراك . فقد قال :

إن المسلم يبدأ صلاته بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » كما يبدأ المسيحي صلاته : باسم الآب والابن والروح القدس ، ومع أن أسماء الله الحسنى هي ٩٩ ولكنه يقتصر على ثلاثة منها .

وقد سبقه مشركو العرب قبل ذلك « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا » فرد الله تعالى عليهم بقوله « قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أياما تدعو فله الأسماء الحسنى » فهي أسماء حسنى متعددة لمسمى واحد لا شريك له ؛ أما الآب ، والإبن ، وروح القدس ؛ فهي أسماء لمسميات متعددة !

إذ لا يعقل أن الآب هو الإبن ، وأن الإبن هو الآب ، وأن كلاهما روح القدس ، وأن روح القدس هو الآب وهو الإبن أيضاً !

وكأن الله تعالى أراد أن يرد على أمثال هذا القمص ؛ فأعقب هذه الآية بقوله « وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً » .

أفهمت قوله تعالى : « الذى لم يتخذ ولداً » أم لم تفهم ؟

ومن المضحكات قوله : إن المسلم إذا أقسم قسماً مغلظاً ؛ قال : والله العظيم ثلاثاً ، أى أنه يقسم بالآب والإبن والروح القدس .

وإذا طلق المسلم زوجته طلقة بائنة بينونة كبرى : طلقها ثلاثا . . أى أنه يطلقها باسم الآب والابن والروح القدس ، وهذه كلها من أدلة إيمان المسلمين بالتثليث .

وكأنى بك أيها القارىء الكريم — مسلما كنت أم مسيحيا أم يهوديا — وقد امتلأت ضحكا وسخرية على هذه الغفلة المنقطعة النظير .

وهذا كلام — كما ترى — غير قابل للرد عليه إطلاقا : لتفاهته ، ووضوح بطلانه !

ونسى من التثليث عند المسلمين قوله تعالى « فصيام ثلاثة أيام فى الحج » وقوله جل شأنه « ثلاثة قروء » وقوله عز سلطانه « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » وقوله تعالى « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام » وقوله جل شأنه « وكنتم أزواجا ثلاثة » وقوله عز وجل « فعدتهن ثلاثة أشهر » وهكذا فان فيه الكثير من التثليث .

أخزاه الله تعالى وزاده جهلا ؛ ولو أن جهله لا يقبل المزيد .

ياهذا : إن الذى يقول « فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم » ويقول « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » إن من يقول ذلك لا يقول بالتثليث قطعا !

إن ما ارتكبه مؤلف هذا الكتاب فى حق الملة السمحة الإسلامية ، وما نسبه للكتاب العزيز المحفوظ بعناية الله من تناقض — فى نظره — هو فى الواقع تناقض فى عقله ! وما وصم به سيد المخلوقات من أمور أقامها كذبه واختلاقه لما جاء به عن ربه تعالى .

كل هذا يجعلنا فى حل من أن نقول الحق ، الذى هو الحق !

المسيح عليه السلام

بدأ المؤلف بابه الخامس باسم السيد المسيح : رسول الله عليه السلام متسائلا : هل هو إله أم مدع الألوهية ؟ وصدر هذا البحث الضخم بآية من كتبهم — وكثير ماهى — وهانحن نورد الآية بنصها وفصها !

« لأنه يولد لنا ولد ، ونعطى ابناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيباً مشيراً ، إلهاً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام » . (أشعياء ٩)

وهذا القول لا تصح نسبته بحال إلى الله سبحانه !

الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ؛ يقول مثل هذا القول « كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » .

وهل الذى يستدل بهذا القول ؛ يسوغ له أن يكتب فى تناقض القرآن وبطلان ما جاء به سيد الأكوان ؟ !

وبعد أن نال من المسلمين بما نال : أناخ بكلكله على اليهود — وهم أعداؤه الأول — وقد أرانا الله ببيانه فى قرآنه ماهم عليه ، قال تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء » .

فقال زاده الله بما فيه (ص ١١٣) وبديهى أن اليهود يكرهون المسيحيين ، واسترسل فيما استرسل فيه ، وما ليس بسبيلنا ؛ لأنه يريد أن يؤيد بالتوراة ألوهية المسيح ، وبنوته لله ، وقد اكتفينا بما أورده فى هذا وردنا عليه . وإلا لوأردنا أن نرد على كل كلمة أوردها فى كتابه لما وسعتنا هذه العجالة .

وبعد ذلك لاك قصة آدم عليه السلام فى القرآن ، وأن توبته لم تكفر خطيئته لأنها إذا كانت كفرت عن خطيئته : لما كان هناك داع لطردهما من الجنة ! وتساءل : فما منفعة التوبة التى أعقبها الطرد ؟

وهو بذلك يريد أن يعظم من شأن خطيئة آدم عليه السلام ، وأن توبته ، لم تمح خطيئته . ويريد بتجريح الأنبياء عموماً إعلاء شأن إلهه « المسيح عليه السلام »

ونحن لا نختلف معه فى إعلاء شأن المسيح : فالمسيح عليه السلام : عبد الله ورسوله ؛ ونحن أول المؤمنين به ، الموقرين له . وإنما خلافنا فى ألوهيته ؛ لا فى نبوته ، ولا كرامته !

وخطيئة آدم التى طنطن بها : لم تكن خطيئة بالمعنى الذى ذهب إليه ؛ بل هى من قبيل النسيان الذى لايؤاخذ عليه .

قال تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى » .

وقد تاب الله عليه ، بعد أن وفقه لطريق المتاب ؛ شأنه تعالى مع سائر الأحباب « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » .

هذا فضلا عن أن خطيئته قبل بعثته : ألم تكن فى الجنة ؟ ولم يكن ثمت بشر يرسل إليه ، ولا أمة يبعث لهدايتها .

وإنما بعث آدم بعد ذلك لمن ولد له من أبناء بعد نزوله من الجنة .

عدم قدرة إبليس على إغواء الأنبياء

وخرج من هذا المنطق بأن الله تعالى وعد آدم وحواء بمجىء المسيح ؛ بقوله : « فاما يأتينكم منى هدى » ، وقرر أن الهدى المقصود ، هو المسيح الموعود ؛ بدليل أنه لم يوجد إنسان لم يتسلط عليه إبليس ، والقرآن فى هذا صريح « وإن منكم إلا واردها » .

وقد عجبنا : ما علاقة الورود على النار بتسلط إبليس ؟ وهل معنى ورودها ؛ دخولها ؟ وعلى هذا المعنى : كيف يستثنى عيسى من هذا الورود ؟ ألأنه لم يغوه الشيطان ؟ أم لأنه ابن الله الوحيد ؟ إن معنى الورود ليس الدخول .

يقال : ورد الماء يرده وروداً : إذا بلغه . وفى القرآن الكريم « فأرسلوا واردهم » أى الذى يرد الماء ، ويعرف مظانه ؛ لا الذى يغرق فيه ، أفهمت أم لم تفهم ؟

وأراد أن يؤيد نظريته الخاطئة بخطإ أبلغ وأفحش ؛ فزعم أن القرآن لم يستثن من نسل آدم نبياً ولا رسولا ، إلا تسلط عليه إبليس ، وذكر على سبيل المثال :

آدم : « وعصى آدم ربه » .

نوح : « رب اغفر لى » .

إبراهيم : « والذى أطمع فى (فى زائدة) أن يغفر لى خطيتى (خطيئتى) يوم الدين » .

موسى : « قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين » .

محمد : « واستغفر لذنبك . . . ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقض ظهرك (وترك ورفعنا لك ذكرك) . . . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

وقال : فمن ههنا نرى أنه ليس أحد من الأنبياء كفء لسحق الشيطان ؛ بل على العكس أن الشيطان قهرهم وأذلهم ، وتسلط عليهم .

وإذن فالهادى لا يمكن أن يكون بشرياً مولوداً من زرع بشر ، وإلا سحقه الشيطان .

وإذن فلابد أن يكون إلهاً ، إذ لايستطيع الشيطان أن يدنو منه سبحانه وتعالى

ولكن هل يمكن أن يأتى الله بجلاله ؟ كلا لابد أن يتجسد ويستتر عن العيان . أى يأتى فى شبه البشر .

وخرج من هذا البحث بأن المسيح هو الله المتجسد من عذراء .

بمثل هذا القول التافه الغث ، وهذا المنطق السقيم ؛ يريد أن يقنع الناس بدينه ، وأنه الدين الحق ، وما عداه فباطل !

وهو كلام له خبء :

هـذا كلام له خـبء   معناه ليست لنا عقول

وخبء هذا الكلام أن الشيطان لعب بعقول سائر البشر ، وعبث بقلوبهم وأفئدتهم ، بغيرما استثناء ، ولوكانوا صلحاء وأنبياء ، وأراد بذلك : إمام المرسلين وخاتمهم ، وسيد أهل الأرض والسماء ، عليه الصلاة والسلام .

وفاته أن الله تعالى قضى بأن عباده المخلصين : ناجون من إبليس اللعين وكيده

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » وقرر إبليس نفسه أنه لاطاقة له على إغوائهم « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين » .

وقد يكون من المخاصين من هم دون الأنبياء . والجميع : دون الرسول محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليه !

بطلان ألوهية المسيح

أما إلهه المتجسد فى عيسى ، الخارج من بطن مريم عليها السلام ؛ فان مثل هذا الإله لا يشرف مخلوقاته ، بل يجب عليهم التبرؤ منه كخالق ، والكفر به كإله ، وتعساً لهذا المنطق ، وسحقاً لهذا القول !

وقد علم تعالى ما يهرفون به من هذه الأقوال الفاسدة الكاسدة : فرد عليها جل شأنه ، فى قرآنه الذى لم يتبدل ولن يتبدل ؛ حتى قيام الساعة . قال تعالى « ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » وهذا تعبير دقيق عن معنى يحسن ستره بلفظ لا يسوء ذكره . وذلك لأن كل من أكل الطعام : وجب أن يتخلص من نفاياته ؛ شأن كل إنسان وحيوان .

فمن أين إذن جاءت الألوهية لمن نزل من فرج امرأة ؟ أين جاءت الألوهية لمن أكل الطعام ضمن الآكلين ، ودخل بيت الخلاء كسائر الداخلين ؟

وبعد ذلك أراد أن يدلل على أن المسيح إله ، وليس إنساناً — رغم أنه عليه السلام قال صراحة : أنا ابن الإنسان — ومثل كلامه هذا لا يعبأ به ، ولا يرد عليه .

وقد أراد أن يوازن بين محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام — فى خبث ظاهر، وباطن خبيث — فقال : وبديهى أن مقومات النبوة : هى التنبؤ عن أمور مستقبلة ، تتم فى الوقت الذى يحدده النبى . كما أن مقومات الرسالة : هى عمل المعجزات ؛ لأنه إذا قام إنسان وادعى الرسالة ، وعجز عن إثباتها بالمعجزات فهل

يمكن أن نصدقه لأنه قال إنه رسول ؟ .. وأيهما أجدى : هل إثبات الرسالة بالمعجزة ، أم إرغام الناس على قبولها بالسيف ؟

وهو يشير بقوله هذا : إلى أن إمام الرسل قد أرغم الناس على قبول رسالته بالسيف ؛ أما المسيح فبالمعجزة !

محمد عليه الصلاة والسلام

الرسول محمد عليه الصلاة والسلام : الذى شب يتيما — بإرادة ربه — وعاش فقيراً — بارادة نفسه — وبعث بغير ما مساعد ولا نصير ، ولم يتول منصباً ، ولم يكن صاحب جاه ، أو وارث ملك !

محمد : الذى كانت تجمع الأموال فى مسجده حتى يضيق بها ؛ فيعطى منها حتى لايدع لنفسه لقمة ، ولا لجسده مزقة (١) !

محمد : الذى مات ولم يشبع أهله من خبز الشعير !

محمد : الذى هذا شأنه ؛ يريد الأفاكون أن يقولوا : إنه أرغم الناس على الإيمان بالسيف !

محمد : الرسول الذى بعثه الله تعالى يتيما : فكان كل الناس آباؤه وأبناؤه . وأرسله فقيراً : فكانت أموال الدنيا تحت أقدامه !

محمد : الذى أرسله ربه أمياً فجاء بما عجز عن الإتيان بآية منه عباقرة الكتاب ، وأساطين البلاغة !

محمد : الذى ملك رقاب أعدائه يوم فتح مكة ؛ فعفا عنهم ، وأعزهم ، ودعالهم !

محمد بن عبد الله : أصدق خلق الله ، وأكرمهم عنده ، وأقربهم منه !

محمد : الذى روى عن ربه ، فيما أنزله عليه من قرآنه : « فاستقم كما أمرت ...

---

(١) المزقة : بكسر الميم : القطعة من الثوب .

وما أرسلناك عليهم حفيظا ، إن عليك إلا البلاغ . . . وما أنت عليهم بجبار . . . لست عليهم بمسيطر ... وما أنت عليهم بوكيل ... عفا الله عنك لم أذنت لهم . . . وشاورهم فى الأمر » .

فنفت هذه الآيات — التى أوردها لأمته على لسانه — كل سيطرة يتطلع إليها كل إنسان ، ولم تجعل بينه — وهو أعز مخلوقات الله — وبين من أرسل إليهم — وفيهم من هو أخس من البهم — لم تجعل بينه وبينهم سوى أنه مبلغ لهم عن ربهم ما ينجيهم من أليم عذابه ، ويؤهلهم إلى مزيد ثوابه !

وقد ورد فى الصحاح : أن الشمس قد كسفت يوم موت ابراهيم ابنه . فقال الناس : كسفت الشمس لموت إبراهيم . فما إن سمع ذلك الصادق المصدوق حتى قال « يا أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ! » .

فانظر — أيها القارىء الكريم — إلى مبلغ هذا السمو فى الصدق وعلو النفس : إنسان تتاح له الفرصة أن يثبت للملأ حزن السماء لحزنه ، وكسوف الشمس لموت ابنه ؛ فيسرع نافياً ذلك عن نفسه ؛ مثبتاً للناس جميعاً خطأ هذه العقيدة ، وفساد هذا الزعم ؛ كأنما العظمة تهمة ، والسكوت على الفخر ضيم !

ولو شاء لسكت عن النفى والإثبات ، وترك من شاء أن يفهمها معجزة اختصه الله تعالى بها ، أو عطفاً أضفاه الله عليه ؛ ولكن العظيم ليس فى حاجة إلى ما يسند عظمته ، والكريم ليس فى حاجة إلى ما يثبت كرامته !

فهو دائماً الرسول الكريم ، صاحب الخلق العظيم ! وهو دائماً الصادق المصدوق !

هذا هو الرسول الذى يقول عنه الأفاكون : إنه أرغم الناس على قبول دينه بالسيف !

وأى سيف الآن يا هذا على رؤس المسلمين يمنعهم عن الانصراف عن الدين الذى أكرهوا على اعتناقه ، إلى الدين القويم ؛ دين مريم وابنها اللذين كانا يأكلان الطعام ؟

وصدق الله العظيم حيث يقول : « ويقول الذين كفروا لست مرسلا ، قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب »

معجزات بعض الأنبياء

وبعد ذلك قال بعنوان : المسيح كان يعمل أعمال الله تماماً . وذكر أنه عليه السلام كان يقوم بمعجزاته دون لجوء إلى الله ، أو صلاة له أو توسلات — كما يفعل الآخرون — بل يقول للميت : قم فيقوم .

ونسي أو تناسى أنه مذكور فى أناجيلهم أن عيسى حين آلمه الصلب قال : « إلهى لما تركتنى » (صحتها لم) لأنه استفهام . فهو بهذا — إذا صح — مقر لربه بالألوهية ، عاتب عليه تركه فى أيدى أعدائه . ولو كان إلهاً لعلم أنه مسخر لفداء العالم وحمل الخطايا — كما تزعمون — ومن ثم فلا داع للدعاء والعتب !

هذا فضلا على أن العتب ليس من لغة الأنبياء ، ولا من كلام الصلحاء ! بل شأنهم الرضا ، وحالهم التسليم !

وقد ساق دليلا من القرآن على قدرة عيسى على الخلق : « إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير وانفخ فيه فيكون طيراً » وسكت عند ذلك ؛ لأنه ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض . وسأسوق لك الآية بتمامها ، يقول الله تعالى « ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله » فأغفل رسالته ، وأغفل أن كل ما أظهره من معجزات ليست بقدرته أو بأمره ، بل باذن الله .

كما نسى أيضاً معجزات الأنبياء الآخرين فى الإحياء !

فقد أحيا إبراهيم عليه السلام أربعة من الطير ، وأحيا موسى عليه السلام العصا — وهى جماد — فصيرها حية تسعى ، وأخرج صالح الناقة من الجبل .

وجاء رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام بما هو أجل من إحياء الميت ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ فهذه كلها آيات أرضية ، أما سيد الرسل وإمامهم فقد انشق له القمر ، وهى آية كونية سماوية ؛ عدا مجىء القرآن على لسانه ، وهو الأمى الذى لم يكتب حرفاً ، ولم يقرأ كلمة !

ولسنا فى مجال المفاضلة بين الأنبياء ؛ فقد نهانا عليه الصلاة والسلام لشدة تواضعه عن ذلك بقوله «لا تفضلونى على يونس بن متى» .

من بدء الخليقة ، عند ما أراد الله تعالى خلقة آدم ، وسواه بيديه ، ونفخ فيه من روحه ، وجعل منه زوجه حواء ، وأعدهما لأبوة البشرية كلها ؛ أنزلهما مما كانا فيه من نعيم ، وأصحبهما عدوهما الأول اللدود : إبليس اللعين !

فلولاه لكان كل مولود لهما يولد على الفطرة الربانية التى فطر الناس عليها (١) .

فوجب حينذاك إرسال الرسل ، وإنزال الكتب ؛ لهداية الناس إلى مولاهم الرحيم ، وتحذيرهم من الوقوع بين براثن الشيطان الرجيم ؛ الذى أقسم «لأغوينهم أجمعين» .

فبعث الله تعالى آدم إلى بنيه الذين رزقهم بعد نزوله إلى الأرض .

وبعد ذلك تتابعت الرسل فى كل حين ؛ لتنقطع برسالتهم الحجة ، وتسقط المعذرة !

وكان من أكبر هذه الرسالات وأشهرها حسب نزولها :

رسالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام : جد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وصاحب الملة الحنيفية ، الذى حاجه قومه فحجهم . وجادلوه فجدلهم !

وأنزل عليه صحفاً مطهرة ؛ كانت أصلا وأساساً لما أنزل على النبيين من بعده .

ثم رسالة موسى عليه الصلاة والسلام ، الذى وقف ضد فرعون مصر الذى طغى وبغى وتجبر ، وأذاق بنى إسرائيل الذل ، بل الصاب والعلقم !

فنصر الله تعالى موسى عليه وعلى ملئه ؛ بما أمده الله تعالى به من آيات بينات !

وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور .

ثم رسالة المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ؛ الذى بعثه الله تعالى

---

(١) جاء فى الحديث الشريف «ما من مولود إلا يولد على الفطرة ؛ فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه» .

إلى بنى إسرائيل أيضاً — وقد بعث فيهم آلافاً مؤلفة — لمزيد عنادهم ، وبالغ كفرهم !

وقد أحاط الله تعالى بعثته عليه الصلاة والسلام بمظاهر تهز المشاعر ، وتكاد تبلغ حد القسر :

فقد ولد بغيرأب ، وتكلم فى المهد ، وأحيا الميت ، وأبرأ الأكمه والأبرص ؛ وأنزل عليه الإنجيل فيه هدى ونور !

كل هذا لم يحمل قومه على الإيمان به ؛ بل زادهم غلظة وقسوة !

ومن المعلوم أن الكون فى بدء نشأته : كان فى حاجة إلى المعجزات التى تهز المشاعر، وتثير كوامن الانتباه ؛ فكان دخول إبراهيم النار من غير إحراق وقلب موسى العصا حية ، وإحياء عيسى الموتى ، وإبرائه الداء العياء !

فلما قارب الكون النضوج ، وأشرف على الرشد ، وأوشك على الكمال ؛ كان للمعجزة الفكرية أحوج ، وللدليل العقلى ألزم .

ولما كانت معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تنقضى بانقضائها ، وتزول بزوال وقتها .

ولما كان الإسلام خاتم الديانات ؛ لأنه دين الله المختار « إن الدين عند الله الإسلام» كان لزاماً بقاء معجزته ، وخلود آيته ، حتى لاتنقضى بانقضاء من أنزلت عليه ، ولحوقه بالرفيق الأعلى !

فكان الكتاب المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد !

وهو الكتاب الوحيد الذى اختاره الله تعالى للبقاء حتى الفناء ؛ إذ فيه الكفاء والغناء !

فجاءت رسالة أكرم الرسل وخاتمهم وإمامهم : محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام !

وهو الوحيد بين الأنبياء الذى أرسل للخلق كافة ، وللعالمين رحمة !

وقد كانت معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام تتفاوت بتفاوت أزمانهم ، وتباين أفهام أممهم :

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام : ألقى فى النار المحرقة ؛ فكانت — بإذن الله — برداً وسلاماً عليه !

« قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم » .

وموسى عليه الصلاة والسلام : اجتمع السحرة عليه بسحرهم فأبطله ، وألقى بعصاه فلقفت ما يأفكون ، وجاء بالآيات التسع البينات !

« ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » .

وعيسى عليه الصلاة والسلام : ولد من غير أب ، وتكلم فى المهد ، وأحيا الميت ، وأبرأ الأكمه والأبرص .

« ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم » .

ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام : ولد يتيما ، وبعث أمياً ، وأنزل الله تعالى عليه أبلغ ماسمع البلغاء «القرآن الكريم» جزالة لفظ ، وغزارة معنى ، وإيجاز غير مخل ، وبسط غير ممل ، بألفاظ تفوق الدر ، ونظم أعجز الجن والإنس !

وتحداهم به — وهم أساطير البيان ، وأئمة العرفان — فكأنما أصيبوا بالعى والخرس والفهاهة !

فقال قوم من المعاندين « فليأتنا بآية كما أرسل الأولون . . . وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ؟ أولم تأتهم بينة مافى الصحف الأولى » .

فرد عليهم ربهم العظيم ، فى قرآنه الكريم :

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون »

ولذا وجب تنوع المعجزات وتفاوتها .

ومن المعلوم أن الرسل جميعاً أرسلوا من الله تعالى ، وأنه قد خص كلا منهم بمعجزة ارتضاها له ولأمته ؛ لإلزامهم بتصديقه والإيمان بما جاء به .

وسميت المعجزة معجزة : لعجز البشر عن الإتيان بمثلها .

فمن ذا الذى يستطيع أن يلج النار فلا يحترق ، أو يلقى بالعصا فتصير حية ، أو يدعو الميت فيلبي نداءه ، أو ينطق بالبيان المعجز، وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب ؟!

فكل معجزة أتى بها النبيون لا تقل عما سواها ؛ لأن الموحى بها ، والمقدر لها ، والمعين على إبرازها : هو الله جل شأنه !

فإبدال العصا حية ؛ لا يقل فى روعته عن إحياء الميت .

ودخول النار بغير احتراق ؛ لا يقل عن إبدال العصا .

ونطق الأمى بالمعجز من القول ؛ لا يقل عن سائر المعجزات التى جاء بها النبيون !

جميع ذلك — ولا شك — معجز فى حينه ، معجز بعد انتهائه وانصرام أوانه

وتنوع المعجزات : أمر لابد منه للكون وللبشر .

أفرأيت لو أن الله تعالى أرسل أنبياءه جميعاً : لا تحرقهم النار إذا دخلوها ، أو إذا ألقى أحدهم عصاه صارت حية ، أو إذا نادى أحدهم الميت أجابه .

كل ذلك يكون بالنسبة للكون تكراراً لمعجزة جاءت فلم تصدق : رغم ثبوتها ، ووضوحها ، وبلوغها حد الإلزام والقسر .

ومن المسلم به أن كل معجزات الأنبياء السابقين : بعد علم أممهم بها ، ومشاهدتهم لها : قد وصلت لمن بعدهم من الأمم وصولا يقينياً لا شبهة فيه ، عن طريق التاريخ ، والنقل الصحيح المتوارث .

فمن منا لم تبلغه قصة ناقة صالح ، أو سفينة نوح ، أو نجاة يونس من بطن الحوت ، أو كلام عيسى فى المهد ؟

كل هذا وأشباهه بلغنا — معشر البشر فى شتى أنحاء الأرض — بلوغاً يبلغ حد اليقين والمشاهدة .

وكل ذلك يعتبر حجة علينا من الله ، مثبتة لقدرته ووجوده .

فكل إنسان فى هذه الحياة يجب أن يضع فى اعتباره أن كل المعجزات التى جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام قد وجهت إليه : سواء منها ما رآه ، أو علمه ، أو سمع به .

المسيح لم يخلق شيئاً بنفسه

وقد استدل من القرآن أيضاً بقوله تعالى « أفمن يخلق كمن لا يخلق » على أن المسيح خالق من دون الأنبياء جميعاً ، بدليل قوله تعالى « قل الله خالق كل شىء » فما دام المسيح خالقاً ؛ فهو الله إذن ، ولا مشاحة إذن فى أن المسيح هو الله المستأنس .

وفاته أن إبراهيم عليه السلام : خالق أيضاً ؛ فقد أحيا أربعة من أنواع الطير ، فلم لم يعبد بسبب خلقه وإحيائه ؟

وإنى أهيب بالقراء أن يرونى إنساناً واحداً يفهم هذا الفهم الذى فهمه قمص الكنيسة ؛ الموكول إليه إرشاد العامة وهدايتهم ، وموكول إليه أيضاً مهمة الاعتراف والغفران .

وإليك المعنى الصحيح لهذه الآيات التى تفهمها جيداً ، ولكنك تحيد حاقداً على الإسلام والمسلمين : الإسلام الذى هو دين الفطرة ، دين الله الذى ارتضاه لعباده « إن الدين عند الله الإسلام » .

لقد قال تعالى فى سورة « النحل » لا النمل كما ذكرت « أفمن يخلق كمن لا يخلق » بعد أن عدد عظيم مخلوقاته ، وجليل مصنوعاته : « خلق السموات والأرض ... خلق الإنسان من نطفة ... والأنعام خلقها ... والخيل والبغال والحمير لتركبوها ... هو الذى أنزل من السماء ماء ... وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ... وهو الذى سخر البحر ... وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم » وبعد ذلك قال « أفمن يخلق كمن لا يخلق » .

أى كيف تتخذون — أيها الجهال — عيسى إلهاً ، أو الأصنام آلهة . وجميع ما تعبدون ، لايخلقون شيئاً وهم يخلقون « أفمن يخلق كمن لايخلق ؟ » .

أما خلق عيسى عليه السلام للطير ؛ فقد كان بإذن الله ، وإحياؤه للموتى كان أيضاً بإذن الله ؛ ولو لم يأذن الله له بذلك لما استطاع أن يبسط يده أو يضمها ، فاذنه تعالى ، وتزويده بالقدرة : هما الفاعلان أصلا فى الخلقة والإحياء !

وبعد ذلك ذكر (ص ١٢٦) تحت عنوان علمه بكل شىء ، واستدل على ذلك بقول عيسى عليه السلام فى القرآن لقومه « وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون فى بيوتكم » وقال معجباً طرباً : لك المجــد أيها المسيح إلهنا الذى كل شىء عريان ومكشوف لديك !

لقد استحق المسيح الألوهية لأنه ينبئهم بما يأكلون وما يدخرون !

ومن عجب لماذا لم يعبد يوسف أيضاً وقد كانت لديه تلك الخاصية تماماً « قال لايأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى » .

ولعل رجال التنويم المغناطيسى يستحقون العبادة أيضاً ؛ لأنهم يمكنهم التوصل الآن إلى كثير من هذه الأشياء .

وليس هذا طعناً فى المعجزات ، أو إنقاصاً من شأنها ، ولكنه لبيان أن كل خارق للعادة إذا استوجب التقدير ، فلا يستوجب العبادة ؛ ولو ارتقت هذه المعجزة إلى إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وخلق الطير ، ما دام القائم بالمعجزة مستعيناً بالله ، مؤتمراً بأمره !

وإنه لمن الجرأة بمكان عظيم أن يزعم زاعم — افتراءاً — أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله قد قام بما قام به من معجزات بغير استعانة بالله ، وإذن منه ؛ ولو كان أبوه كما يزعمون ! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

صدق محمد والقرآن

وبعد ذلك أراد أن يوازن بين المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام فى القدر والمنزلة ؛ مستدلا بما جاء فى القرآن على رفعة قدر عيسى ، وحطة قدر محمد .

ولا أدرى بماذا يريد باستدلاله بالقرآن — خصوصاً فى هذا الموضع بالذات — ويجدر بنا أن نسائله بدورنا :

هل يصدق بما جاء فى القرآن ؟ وقد جاء فيه إنكار الصلب « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

وفيه أيضاً إنكار التثليث « فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ... لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » .

كما أنكر أيضاً ألوهية المسيح أو بنوته لله « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ... ما المسيح ابن مريم إلا رسول ... وقالت النصارى المسيح ابن الله » .

كل ذلك جاء فى القرآن الكريم ، وهو مخالف لصلب عقائد المسيحيين ، التى يدينون بها ، ولا يرتضون لها بديلا .

وإذن كيف يصدق بعض القرآن ويكذب بعضه ؟

وهنا ينشأ سؤال آخر : هل محمد عليه الصلاة والسلام — فى نظره — صادق أم كاذب ؟ فان كان كاذباً فكيف يستدل بما جاء به من الكذب ؟ وكيف يكذب محمد بما يحط من قدره عمن هم دونه من الرسل ؟

إن مجىء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بما هو بالعتاب أشبه ؛ بل بما هو إلى الزجر أقرب ؛ لهو الدليل القاطع الناصع على مزيد صدقه ، وصدق نبوته ؛ لأن الله تعالى لا يعظم أمام قدره إنسان ؛ ولو كان هذا الإنسان محمد بن عبد الله :

خير خلق الله ، وأقربهم منه ، وأحبهم إليه ؛ كما يوجه الملك لكبير وزرائه اللوم قاصداً بذلك حث بقية الرعية على الطاعة ، والتزام جادة الصواب !

ولكنا قدمنا القول بأن هذا القمص ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، ولسنا بقولنا هذا نريد القرآن فحسب ؛ بل لقد أثبت إيمانه ببعض الإنجيل ، وإنكاره لبعضه أيضاً ، وقد قدمنا ما فيه الكفاية .

ولنعد إلى ما نحن بسبيله : وهو الموازنة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام !

فقد قال : إن القرآن يقول عن عيسى « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين »(١) .

أما عن محمد فقد قال « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وقال تعالى « قل لله الشفاعة جميعا »

وخرج من ذلك بأن المسيح هو الشفيع ، والله هو الشفيع ، واعتبر أن الاستغفار : شفاعة ، وعدم قبوله دليل على عدم قبول شفاعة الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه . وهو تأويل باطل بطلاناً واضحاً ؛ إذ أن هناك فرق كبير بين الشفاعة والاستغفار . خصوصاً إذا أكملنا الآية الكريمة « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله » .

ولتفضيل عيسى على محمد يستدعى إثبات قبول شفاعة عيسى لمن كفر بالله وهذا ما لا يستطيع أحد أن يزعمه

وإذا قلت : نعم . فانى أقول لك قولا يكشف عما فى صدرك :

أنا فى نظرك طبعاً من عداد الكافرين ، فهل يستطيع عيسى فى نظرك — بما له من جاه ، ومن ألوهية ، ومن بنوة لله ، ومن تضحية نفسه ، وتعريض أبوه له بالصلب للفداء — هل يستطيع فى نظرك أن يشفع لى ويدخلنى الجنة معك أيها القمص ؟

---

(١) وفاته أن الوجاهة لم تكتب لعيسى وحده . فقد قال الله تعالى فى حق موسى عليه السلام « وكان عند الله وجيها » .

فإن قلت : نعم . فما الفرق بيني وبينك إذن ؛ وأنا الكافر العاصي المخطيء ، وأنت المؤمن الطائع المصيب ؟

وإن قلت : لا . فما الفرق بين المسيح وبين سائر النبيين عليهم السلام ؟

يا أيها الكاهن : اسمح لى أن أقول : إن منطقك أعرج ، وفهمك أعوج ! ومهما قلت فان قولك مشوب بالحقد ، ورأيك ملىء بالجهل !

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم

وبعد ذلك أراد أن يدحض قول القرآن « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » وتساءل ؛ كيف يتفق هذا مع أن القرآن ناطق بأنه « كلمة منه » متناسياً أن القرآن نزل من لدن من لا يخطيء « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وأن الاختلاف وقف على أناجيلهم المبدلة . وأين الاختلاف أو التناقض فى قوله تعالى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم » وقوله جل شأنه « وكلمة منه » وقد بينا فيما سبق أن المثلية فى الخلقة ؛ إذ أن آدم خلق من غير أب ولا أم ، وعيسى خلق من غير أب ، فكلاهما عجيب فى خلقته ، عجيب فى نشأته . ومتماثلان أيضاً فى أن كلاهما خلق بكلمة الله « كن » فكانا .

ألا ترى إلى قول الحكيم العليم فى شأن آدم « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وقوله فى شأن عيسى « وكلمة منه » أراد بالكلمة لفظ « كن » التى يستوى أمامها خلقة الملك ، والنبى ، والسموات ، والأرضين ، والجبال ، والأنهار ؛ وكل ما هو مخلوق لله « إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » أفهمت أم لم تفهم ؟ .

وتساءل بعد ذلك (ص ١٢٩) إذا كان المسيح خلق بأمر الله ، فكذلك كل الكائنات خلقت بأمر الله ، ولم يدع أحد من تلك الكائنات الحية وغير الحية أنه كلمة الله ، إلا المسيح وحده دون سواه ؟

ونسى أن هناك فرقاً بين ما يخلق بطبيعته ، وما يخلق بغير طبيعته ، فالسموات ، والأرضين ، والأفلاك، والكواكب ، والبحار، والأنهار، كل ذلك خلق بإرادته تعالى المعبر عنها بلفظ « كن » لأنها ليست لها سوابق ، وليست لها أصول تتفرع منها .

وكذلك الإنسان الأول « آدم » خلق بإرادته تعالى « كن » لأن خلقة البشر لم تكن لها سابقة تتدرج منها .

ولما كانت خلقة عيسى عليه السلام بغير أب . كانت أيضاً بلفظ « كن » .

أما باقى المخلوقات : من إنس وجن ، ووحش وطير ، وزرع وضرع ، فكل ذلك سائر على النظام الطبيعى ، وعلى السنن الكونية ، التى أرادها الله تعالى بلفظ « كن » أيضاً .

فقد خلق آدم . وقال له « كن » إنساناً سميعاً بصيرا ، متكلما عاقلا ، ولوداً ، أباً لسائر البشر .

وكذلك الأرض : كونى مخصبة فكانت . والسماء : كونى ممطرة فكانت . والأنهار : كونى جارية فكانت . وخصص لكل شىء طبيعته وخاصيته ؛ فسار بقدرة الله كما أراده الله !

فأصل الأشياء جميعاً بأمر الله « كن » ، « إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » أفهمت أم لم تفهم ؟

شروط الإيمان

وبعد ذلك عاد إلى محاورته ومداورته ، محاولا الطعن والتكذيب كعادته .
فقال : وقول محمد : أكملت عليكم دينكم ورضيت لكم الإسلام دينا ، متناسياً أن هذا ليس بقول محمد ؛ بل قول رب محمد جل شأنه : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » .

وقال : إن القرآن يشهد للنصارى بالتوحيد والإيمان الحق بقوله : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم » .

وفاته أن هذه الآية تحكمها شروط عدة اشترطها الله تعالى فيها .

أولها — الإيمان بالله « من آمن بالله » وشرط الإيمان بالله : الإيمان بملائكته وكتبه ورسله « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله »

وأنتم لا تؤمنون بأحد « من رسله » ولا بعيسى الذى أرسل إليكم .

فقد دعاكم إلى الله فأبيتم دعوته ؛ فأمطركم بمعجزاته (وكثرة المعجزات دليل على كثرة التكذيب) فآمنتم به — لا نبياً ، ولا رسولا — بل إلهاً قادراً ، سميعاً عليما ؛ أليس يحيي الموتى ، ويبرىء الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير؟ وكل هذا يؤهل من يقوم به للألوهية !

يقول لكم : يا ناس يا هوه أنا ابن الإنسان ؛ فأبيتم عليه إلا أن يكون إلهاً أو ابناً للإله !

ثانيها — الإيمان بيوم الحساب والجزاء « واليوم الآخر » والإيمان باليوم الآخر : يستدعى العمل بما يؤهل للنجاة فيه ، وأول ما يؤهل للنجاة فيه : حب الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » وأنتم أبغض الناس له ، وأشد الناس تكذيباً لما جاء به .

ثالثها — العمل الصالح « وعمل صالحاً » وأولى الأعمال الصالحة : عبادة الله حق عبادته ، والبر بمخلوقاته ، وكراهة ما عند الناس رغبة فيما عند الله .

ولن أتعرض فى كتابى هذا لعباداتك وما فيها من طقوس ، ولا ما يشوب ما تسميه بالاعتراف فى ديانتك . ولن أتعرض أيضاً لمدى كراهتك لما فى أيدى الناس ، ورغبتك لما عند الله .

لن أتعرض لهذا؛ رغم تعرضك لخير الأديان بالمسخ ، وخير الرسل بالتجريح ، وخير الكتب بالتكذيب ؛ وأترك جزاء صنيعك لله ، فهو وحده الكفيل بخزيك فى الدنيا ، وتعذيبك فى الآخرة ، وهو لا شك فاعل !

أتباع المسيح ليسو بمؤمنين

وعاد بعد ذلك إلى تقرير أن القرآن يؤكد صريحاً أن الذين اتبعوا المسيح مؤمنين ولهم امتياز خاص على غيرهم ممن لم يتبعوه : إذ جاء فى سورة آل عمران .

« إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » .

وحض أتباع المسيح على التمسك بانجيله . إذ قال « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

ويخرج من هذا بأن النصارى مؤمنون ولهم الجنة . وإذن فلا مبرر لتوجيه الدعوة إليهم لاعتناق الدين الإسلامى

يقول هذا الكلام مستنداً إلى القرآن الذى لايؤمن به ، بل ويكذب المنزل إليه .

ولا يكلف نفسه عناء قراءة الآية التالية التى أوردها : « وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق » وبعد ذلك حذر القرآن نبيه الكريم منهم : « واحذرهم أن يفتنوك » .

أين الإنجيل؟

واستدلاله بهذه الآية استدلال فاسد ، لأنه أمر لأهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه (أى فى الإنجيل) ولكن أين الإنجيل الذى عناه القرآن وأمركم بالحكم بما فيه ؟ لقد تفرق أيدى سبا ، وصار شذر مذر .

فان فى إنجيلكم التبشير بمجىء سيد الخلق . وفى القرآن الكريم فى الآية اللاحقة التى ذكرناها أمر لإمام الأنبياء عليه الصلاة والسلام بالحكم بينكم بما أنزله الله فيه وتحذيره من فتنتكم ، ولأن القرآن الكريم — كما جاء فيه — مهيمناً على سائر الكتب التى تقدمت — ومنها التوراة والإنجيل — هذا على فرض صحتها . فما بالنا وهى الآن مضرب الأمثال فى التبديل والتغيير !

إهدنا الصراط المستقيم

ولم يكفه كل ما كتبه من هراء ؛ فلجأ إلى دعوى طريفة : لاتصدر إلا من مثله .

فقال متسائلا (ص ١٣٤) هل يصلى المسلم كل يوم خمس مرات متوسلا إلى الله أن يلحقه بالمسيحيين ؟ وقال : إن المسلم يقول فى صلاته « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

وساءل المسلم : كيف تطلب من الله أن يهديك إن كنت مهتدياً . وأنت تقول إنكم « خير أمة أخرجت للناس » و « إن الدين عند الله الإسلام » وأن الله لا يقبل غيره من الأديان !

إن قلت هذا فكتابك ينقض أقوالك . إذ جاء عن محمد فى سورة الضحى : « ووجدك ضالا فهدى » .

وإذن فالضالون هم الوثنيون ، لأن محمداً كان وثنياً قبل الإسلام .

وإذن « الذين أنعمت عليهم » ليسوا هم الوثنيون . وليسوا أيضاً اليهود ؛ لأن

القرآن قال فى حقهم « وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة » فهم إذن من المغضوب عليهم ، لأنهم قتلوا المسيح .

وخرج من ذلك بأنه لم يبق إلا صراط النصارى وهم المنعم عليهم بالمعرفة الكاملة بالله (المعرفة الكاملة بالله حيث ولد لهم الفادى يسوع المسيح وسلط عليه من يقتله ليفدى ذنوب الآثمين) .

وللإجابة على هذا التساؤل . نقول : نعم إن المسلم يصلى كل يوم خمس مرات لله تعالى خالق مريم والمسيح ، ومبدع الكائنات . ويقول فى صلاته « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » فكيف يقول ذلك ويتوسل إلى الله أن يلحقه بمن يقول : إن لله ولدا ؟ !

إنه يتوسل إلى الله أن يبعده عن عقائد المسيحيين وألا يحشره معهم ؛ أفهمت أم لم تفهم ؟

أما ماغاب عنك فهمه فى قول الله تعالى « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غيرالمغضوب عليهم ولا الضالين » فسأفهمك إياه — إن كنت من ذوى الأفهام — وأبينه لك — إن كنت من ذوى الألباب !

أما قول الحكيم العليم « اهدنا الصراط المستقيم » فهوطلب للهداية إلى الطريق الواضح المستقيم الموصل إلى الله تعالى ، الذى لاغموض فيه ولا إبهام ، ولاطقوس ، ولا خزعبلات ، ولا طلب غفران من مخلوق ، ولا اعتراف إلا للخالق تعالى .

وقد أبان تعالى هذا الصراط وعرفه بقوله « صراط الذين أنعمت عليهم » بالإيمان ، وفضلتهم بالطاعة والإيقان ، ومهدت لهم طريق معرفتك ، فلم يشركوا معك أحداً ، ولم ينسبوا لك ابناً .

وهؤلاء المنعم عليهم من أصفياء الله تعالى وخلصائه : كالنبيين ، والصديقين ، والشهداء والصالحين . قال تعالى « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

وجميع هؤلاء : من « غيرالمغضوب عليهم » من الكافرين المضللين ، وهم اليهود « ولا الضالين » وهم النصارى أمثالك . ولا يخفى أن اليهود : مغضوب عليهم

وضالون ، وأن النصارى : ضالون أيضاً ومغضوب عليهم !

ولاندرى أى صراط مستقيم هذا الذى هو عليه . لندعوالله تعالى أن يهدينا إليه ؟ أنطلب من الله الضلال بعد الهدى ، والكفر بعد الإيمان ، ونطيع الشيطان بعد أن أطعنا الرحمن ؟ !

« قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله » .

الله أكبر

وقد سار فى خبله وضلاله إلى أبعد الحدود التى لايتصورها عقل عاقل فقال : تحت عنوان توافق عجيب : وهوأن افتتاح المصلى من المسلمين بالتكبير « الله أكبر » وهل هناك إلهين بمقارنتهما يكون « الله أكبر » .

وصار يتخبط فى دياجير جهله ويقول : إن سبب هذا وجود طائفة من المسيحيين يقولون بأن أقنوم الأب أعظم من أقنوم الإبن . وإذن فهذه المقارنة تأييداً لهذا المبدأ الذى رفضته الكنيسة . والمناداة به صباح مساء فوق المآذن هو الاعتراف بهذا المبدأ .

وانتقل بعد ذلك إلى التفات المصلى — عند إنهاء صلاته — يميناً ويساراً . وهذا يشبه تماماً ما اعتاده المسيحيون عند ابتداء الصلاة وانتهائها أن يرسموا علامة الصليب فنحن نرسم الصليب بأصبعنا وأنتم برؤسكم .

وهو قول كما ترى أيها القارىء ليس فى حاجة إلى رد !

المسيح من البشر

وبعد ذلك وضع جدولا بين فيه أنه لا خلاف بين قانونى الإيمان المسيحى والإسلامى ذكر فيه أنهم يؤمنون برب واحد هو يسوع المسيح ابن الله الوحيد ، وأننا نؤمن أيضاً بيسوع المسيح . وقد غفل أو تغافل أنه يؤمن بيسوع المسيح كإله. وكابن للإله . فى حين أن المسلمين جميعاً يؤمنون به كنبى ، وكبشر ليس غير. وأنه « رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » أفهمت أم لم تفهم ؟

وبعد ذلك زعم أن المسيح كإله فهو علام الغيوب طبعاً ، وانتقل إلى « الكفارة » وأنها ظلت من لدن آدم ذبائح حيوانية إلى أن جاء الفادى (لحل مكان هذه الذبائح) ولذا فان المسيحيين لا يقدمون ذبائح دموية ، لأن فصحهم يسوع قد ذبح ، ولا يزال المسلمون يذبحون الأضاحى فى أكبر أعيادهم .

وهو بذلك يعتبر المسلمين متخلفين لأنهم لافادى لهم ؛ فيتمسكون بالأضاحى .

وقد عاب عليهم هذا التمسك بقوله : هل يمكن أن يكون دم العجول والثيران والكباش كاف لرفع غضب الله عن الإنسان ؟

يريد أنه لابد من ذبح ابن الإله البكر الوحيد حتى يهدأ غضب الله عن المذنبين ! أف لك ولما تعتقد !

وزعم أن الله تعالى أشار لآدم وحواء إلى هذا الفادى فى القرآن بقوله « فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون » وسولت له نفسه الأمارة بالسوء أن يقتطع من هذه الآية الكريمة ما لا يروق له ، وهو قوله جل شأنه « فمن تبع هداى » لأن هاتين الكلمتين يفسدان عليه المعنى الذى أراده ؛ حيث أراد أن يفسر الهدى بالهادى الفادى . وساق أدلة من أناجيلهم على ذلك ؛ مقرراً بأن الموت لم يأت الناس إلا بسبب خطاياهم . وبهذا طبعاً لا يموت المطيع أبداً . وخرج من ذلك بأن الهادى عند المسلمين ، هو الفادى عند المسيحيين .

وهو بحث نفيس كما ترى أيها القارىء الأريب .

وقد ضم بهذا الرأى جهله باللغة إلى جهله بمعانى الكتب المنزلة ؛ بل وبكل المقومات التى تجعل من الإنسان إنساناً .

فمن المعلوم لغة أن لفظة « هدى » فى هذه الآية جاءت منكرة « فإما يأتينكم منى هدى » أى أى هدى : من رسول ، أوكتاب ، أو وحى .

وظل المسكين يهرف بما لا يعرف ؛ فخاض فى موسى ، ويوسف ، وإبراهيم ، وإسحق . وأصر على أن المعنى بقوله تعالى فى القرآن « وفديناه بذبح عظيم » أن الذبح هو المسيح أيضاً . لأنه حمل الله(١) الذى يرفع خطية العالم .

الذبيح إسمعيل لا إسحق

وتطرق بعد ذلك إلى ذكر الذبيح ، وهل كان إسماعيل أم إسحق . وأن المسلمين يجزمون بأنه إسمعيل ؛ بيد أن القرآن لم يعين أياً منهما كان الأمر لإبراهيم بذبحه . ونبى الإسلام نفسه لم يستطع أن يحدد من منهما المقصود ؛ ولذلك قال « أنا ابن الذبيحين » ويقصد بالذبيحين إسمعيل وإسحق . . . إلى أن قال : وإذن فلا مبرر للقول بأن إسماعيل هو الذى كان مقصوداً بالذبح .

وهو بذلك يمالىء اليهود فى ادعاء أن الذبيح إسحق جدهم ، لا إسماعيل جد الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

وقد كذب فى قالته هذه وأخطأ الفهم — متعمداً — أخطاء فاحشة .

فقد زعم أن القرآن لم يحدد الذبيح ؛ هل هو إسمعيل أم إسحق . وقد حدده القرآن — لكل ذى عقل — كما سنبين :

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه « فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك » والمعنى بالذبح هنا

---

(١) الحمل : الخروف الصغير .

إسماعيل ، بدليل قوله تعالى فى آية لاحقة « وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين » ومن المعلوم لمن يفهم ومن لا يفهم أن البشارة تساق قبل حصولها . فكيف تستقيم بشارته باسحق وأنه سيكون نبياً من الصالحين ؛ مع ذبحه طفلا ؟

وفوق ذلك فان الله تعالى قد بشر باسحق وبولادة يعقوب منه « وبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب » فكيف يجوز عقلا ذبحه غلاماً قبل أن يولد له ما بشر الله تعالى به ووعد ؟

أما زعمه أن الرسول عليه الصلاة والسلام عنى بقوله « أنا ابن الذبيحين » أنه ابن إسماعيل وإسحق ؛ فى حين أن الذبيح واحد منهما . فهذا مالم يعنه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بحال من الأحوال ؛ بل عنى بأحد الذبيحين إسمعيل جده وبالآخر أبوه عبد الله . ولن أطيل فى ذلك ، بل أكتفى بما قاله صاحب القاموس فى مادة « ذبح » والذبيح : إسمعيل عليه السلام . و « أنا ابن الذبيحين » لأن عبد المطلب لزمه ذبح عبد الله — لنذر — ففداه بمائة من الإبل .

ولذلك قصة طويلة استوعبتها كتب التاريخ والسير . ليس هذا مكان ذكرها . أفهمت أم لم تفهم ؟

محمد المحارب والمسيح الهارب

ما كان لنا أن نعنون مثل هذا العنوان . ولكن ما الحيلة وقد أراده مؤلف « الباطل » وارتضاه لنفسه . فروى فيما روى من الأباطيل عن إلهه « المسيح » عليه السلام أنه قال : خير لى أن أكون هارباً من أن أكون محارباً .

وهى قالة — كما ترى — لا يجوز نسبتها بحال إلى أى مصلح ؛ فما بالك بنبى من أولى العزم ، وصاحب رسالة سماوية إذا أداها — ولو بالكلمة الهادئة المونقة — فانها ولا شك ستثير حرباً بين من اعتنقها ومن رفضها ، وهى دائماً سنة الحياة .

وسيان حارب النبى بنفسه ، أو حارب بواسطة متبعيه ؛ فهو على كلا الحالين

محارب عن دين الله ، ومجاهد فى سبيله !

هذا وقد أوضح الله تعالى لعباده ميزان القتال وحدوده :

قال عز من قائل : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »

فسمى جل شأنه مقاتلة غير المقاتلين : اعتداء ، وجاهر المعتدين بالكراهية والبغض ، ولا شيء يعنى المسلم فى حياته الدنيا سوى الحرص على رضا الله تعالى وحبه جل شأنه !

وكيف لا يكون النبي — أى نبي — مقاتلا ؛ وقد بعثه الله تعالى مصحوباً بأعداء ألداء . قال تعالى : « وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين . . . وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن »

فأى إنسان تحيط به الأعداء من كل جانب ، ويكيدون له ولدينه بكل الوسائل ، فلا يحاربهم ولا يجازيهم ، وهو مكلف من قبل مرسله تعالى بمحاربتهم « يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »

ولكن مؤلف « الباطل » أراد — أو أريد له — أن يظهر المسلمين قراصنة ، ولو كانوا شجعاناً أقوياء ، وغيرهم حملاناً . ولو كانوا أذلاء جبناء !

وهو أمر يسيء للمسيحيين ، أكثر مما يسيء للمسلمين !

وبعد ذلك تطرق إلى الحروب الصليبية ، وأن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف ، وقال إنه لا يتعرض للحروب الدموية والغزوات التى قام بها نبي الإسلام. وعرج إلى الحروب الصليبية وأنها لم تكن دينية وإن كان ظاهرها كذلك . وظل يحاور ويداور وفى سبيل ذلك أثبت أن المسيح عليه السلام وهو الإله القادر على كل شيء قد هرب من خصومه ، وأنه أراد بهربه هذا أن يعلم تابعيه أن الانتصار بالهرب ، خير من الانتصار بالحرب !

وأراد بذلك أن يعقدها موازنة بين محمد المحارب ، وعيسى الهارب ، يريد أن

يجعل الموازنة بين إنسان مبغوض له كل البغض فيصفه بالشجاعة . وبين إله محبوب لديه ، بل معبود له فيصفه بالجبن !

أف لك ولما تصف !

وسار على ذلك المنوال إلى أن قال : إن الجهاد فى سبيل الله لا يكون عن طريق السيف وسفك دماء الأبرياء ، وإخراج الناس من ديارهم وسلب أموالهم .

ويحسن بنا فى هذه المناسبة أن نذكر قول البوصيرى رضى الله تعالى عنه فى بردته المباركة :

أحل أمته فى حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال فى أجم
كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم
كفاك بالعلم فى الأمى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

وقول شوقى رحمه الله تعالى :

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا ... لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم
جهل وتضليل أحلام وسفسطة ... فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى اك عفواً كل ذى حسب ... تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به ... ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم
سل المسيحية السمحاء كم شربت ... بالصاب من شهوات الظالم الغلم(١)

* * *

دعوتهم لجهاد فيه سؤددهم ... والحرب أس نظام الكون والأمم

وعاد إلى الحروب الصليبية فذكر أنها ما قامت إلا بسبب المسلمين وغلظتهم وعدم رحمتهم .

---

(١) الغلم : من الغلمة ؛ وهو الذى تغلب شهوته عليه .

كراهية المسلمين

وفى هذا التيار من المسكنة والرحمة التى يزعمها . يقول : ومما يحزن أن أتباع المسيح قد قتلوا ٧٠ ألفاً من المسلمين ... من الأطفال والنساء والشيوخ ... ياللعار !

يقول : يا للعار . بعد أن قال ما قال فخوراً بقومه الذين شفوا صدره بقتل ٧٠ ألفاً من أعدائه المسلمين . الذين ثبت عداؤه لهم بما كتبه فى كتابه « الباطل »

وإن قوله هذا ليحوى كثيراً من النفاق الواضح الفاضح . وانه لمن أعجب العجب أن يجهد إنسان نفسه فى هدم أقوم دين ، وتقبيح أهدى كتاب ، وتكذيب أصدق رسول .

إن من هذا شأنه لا يحمل قلبه لهذه الأمة إلا كل كراهية عميقة ، وبغض بالغ ! ولكنه يتباكى ويقول : ياللعار ! لقد قتل أتباع المسيح ٧٠ ألفاً من نساء المسلمين وأطفالهم وشيوخهم !

وبعد ذلك يبين عن حقده الدفين ، وعداوته للمسلمين فى نفس الصفحة (١٦٦) التى بكى فيها وتباكى ، وقال يا للعار . فيقول : وصل المصريون إلى عسقلان وكانت قواتهم تفوق الصليبيين ، ولكن الصليبيون سحقوا جيش مصر ، وقتل من الجيش المصرى نحو ١٠٠,٠٠٠ .

إلى أن قال : وأترك للقارىء أن يحكم على موقف الكهنة هنا وسط أعداء أشداء من المسلمين .

فقد فضح نفسه بالمجاهرة بأن المسلمين أعداء ، ويريد بعد ذلك أن ينسب إلى نفسه الرحمة الزائفة ، والشفقة المصطنعة ؛ فيقول : يا للعار لقد قتل أتباع المسيح ٧٠ ألفاً من أطفال المسلمين وشيوخهم ونسائهم !

نعم ياللعار ، بل وألف عار على قوم يدعوهم رسولهم للسلام ، ويدعو بالسلام ؛ فينزلون بالضعفاء والأبرياء تقتيلا وتنكيلا : هذا فى حين أن رسول المسلمين ، وإمام الأنبياء جميعاً ؛ عيسى وموسى وإبراهيم : يدعو قومه إلى الرحمة بأهل

الكتاب والشفقة بهم ، بل والحنو عليهم ، وأنهم لهم مالنا وعليهم ماعلينا ؛ وإن شئنا أن نكتب مجلدات فى وصاياالرسول للجند عند اضطرارهم لدفع أذى أهل الكتاب . فكم أمر عليه الصلاة والسلام بألا نهدم لهم معبداً ، ولا نقتل طفلا ولا شيخاً ولا امرأة ، ولا نقطع لهم شجراً ، ولكن أين الإسلام السمح مع القوة ، القوى مع الرحمة ! أين الإسلام ممن يدعى اعتناق المسيحية — وهو أبعد الناس عن تعاليم السيد المسيح — فقد نافق مع ضعفه ، وضعف مع نفاقه ، ولم يدع خسة إلا أتاها ، ولا مذلة إلا ارتكبها ، ولا مهانة إلا ولجها ، وهاهو كتابه ينطق عليه بالخزى والعار !

هذا وقد أوضح الله تعالى لعباده ميزان القتال وحدوده .

قال عز من قائل : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين » .

فسمى جل شأنه مقاتلة غير المقاتلين : اعتداء ، وجاهر المعتدين بالكراهية والبغض « إن الله لايحب المعتدين » ولاشىء يعنى المسلم فىحياته الدنيا سوىالحرص على رضا الله تعالى وحبه !

فأين المسلمين المسالمين المتقين الموحدين ، ممن نسب إلى المسيح ما لم ينسبه إلى نفسه ، وطمس معالم دينه ، وأساء فهم رسالته ؛ فتساوى مع المشركين ؛ بل قد يكون من المشركين من هو أحسن حالا منه ، وفعله أقرب إلى جادة الصواب من أفعاله .

القرآن والعلم

وظل بعد ذلك يحط من قدر القرآن الكريم ؛ فيقول : إن أشعياء قال قبل الميلاد بنحو ٧٠٠ عام : الجالس على كرة الأرض . بينما العلماء لم يجمعوا على كرويتها إلا فىعام ١٥٤٣ م وبينما يقول القرآن ، « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى ... والله جعل لكم الأرض بساطا . . وهو الذى مد الأرض »

وعاق على ذلك — لجهله — بأن معنى القرآن واضح بأن الأرض غير كروية .

بمثل هذا المنطق الفاسد ، والفهم السقيم يريد أن يفسر القرآن كما يحلو له ، ويطيب لفهمه ، ويستقيم مع ما يريده من تكذيب نزول القرآن من لدن الحكيم العليم ، وبالتالى تكذيب من أنزل إليه القرآن : محمد إمام الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام .

ولم يفهم هذا البليد أن مد الأرض وبسطها : أريد به رأى العين ، وأنها ممدودة لمن يسير فيها ، مبسوطة لمن يمشى عليها .

وقد قال تعالى فى كتابه المبين ، النازل على قلب رسوله الأمين « والأرض بعد ذلك دحاها » أى جعلها كالدحية . والدحية البيضة .

وقد ثبت أن الأرض ليست كروية الشكل كما زعمت وكما نسب إلى أشعياء . بل أثبت الفلكيون وعلماء الطبيعة بما لا يدع شكا لمتشكك ، أو قولا لقائل ؛ أثبتوا أن الأرض منبعجة وليست كروية ، وأنها مستطيلة فى أحد طرفيها ، وأنها أشبه ما تكون بالبيضة . أفهمت أم لم تفهم ؟

وحل له أن يرتع فى بحبوحة النصر الذى حازه : ألم يثبت — ذلك الغبى — صحة إنجيله ، وكذب قرآننا ؟ ألم يثبت أن إنجيله قال بكروية الأرض ؟ فذكر آية إنجيلية : « كل الأنهار تجرى إلى البحر ، والبحر ليس بملآن إلى المكان الذى جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة » وقال عن الآية : إنها وصفت وصفاً دقيقاً لعملية الطبيعة فى تبخير المياه من البحار وتكثيفها إلى غيوم فى الجو ثم إعادتها إلينا بواسطة الأمطار .

ولسنا فى مقام التنافس بين القرآن والإنجيل ، فالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن : كلها — إذا صحت ، وصح نقلها — كلام الله تعالى القديم . ولكنا الآن حيال كتاب ثبتت صحة نقله ، وصحة دراسته ، وصحة أصله : المكتوب زمن نزوله ، ولم يتغير منه بعد ذلك حرفاً واحداً . وهذا القول يبلغ مبلغ التحدى ، لأن الله تعالى وعد بحفظه فحفظه . وباقى الكتب قضى الله بضياعها فضاعت ، وتمسك أهلوها بزخرف من القول ، وقراطيس اخترعها رؤساؤهم ، وأصروا على نسبتها إلى الله .

وماهى من عند الله ؛ فلا مكان إذن للمفاضلة بينها و بين القرآن . ألم تر إلى قول الشاعر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره   إذا قيل : هذا السيف خير من العصا

والوصف الذى أورده فى إنجيله لا يؤدى إلى المعنى الذى ذكره . بل هى عبارة ركيكة لا تؤدى إلى أى معنى من المعانى : « كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن إلى المكان الذى جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة » .

وإنى أتحدى كل ناطق بالضاد أن يفهم لذلك الخلط معنى . فضلا عن أنه يؤدى إلى معنى التبخير والإمطار الذى زعمه .

صحة القرآن الكريم

أما القرآن الكريم فلا سبيل للمفاضلة كما قدمنا ، ولكنى أريد أن أضع يده على بعض بلاغته ، وعلومه ، وغيبياته .

والمقام لا يسمح بذكر كثير من الأمثلة ، وسنكتفى بالقدر الذى يلجمه ويفحمه .

لقد قال القرآن بنجاة بدن فرعون موسى قبل اكتشاف جثته بأكثر من ألف عام « فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية » .

وبسط علم الأجنة بسطاً لم يكتشفه علماء الطب إلا من بضع سنين « ولقد خلقنا الإنسان (آدم) من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة . فخلقنا المضغة عظاما . فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » وقد حار العلماء من دقة هذا الوصف وثبوته وبيانه !

وانظر إلى بلاغة القرآن وإعجازه حيث يقول « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين »

فجمع تعالى فى هذه الآية الواحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ! أرأيت البلاغة والإعجاز ؟

وانظر إلى قول الحكيم العليم : « غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله »

وقد تحقق وعد الله : تصديقاً لرسوله ، وإثباتاً لقرآنه !

فغلبت الفرس الروم . ثم أعادوا الكرة بعد هذا اللقاء : فغلبت الروم فارس ؛ بعد سبع سنين من اللقاء الأول . مصداقاً لقول العزيز الكريم !

وهل يتساوى ما ذكرته لك بـ « كل الأنهار تجرى من البحر » . ؟ !

ولعن الله تعالى منا من يستجيب لداعى الجهل ، ولا يستجيب لداعى العقل !

ولدينا كتب التفسير ، وإعجاز القرآن ملأى بما يضيق المقام عن ذكر بعضه !

أفهمت أم لم تفهم ؟ !

ومن المعلوم أن الكتب المنزلة : أوحى بها من الله تعالى على أنبيائه عليهم السلام ؛ لتبليغها إلى العباد ؛ لإرشادهم إلى ربهم ، وهدايتهم إلى عبادته ومرضاته !

فإذا ما بحثنا نسخ التوراة والإنجيل « العهد القديم والجديد » لم نجد سوى كلاماً لا ينتسب إلى الله تعالى بسبب ؛ ولا يمت إلى المعانى الربانية بصلة .

بل لا ينتسب إلى بعض الأنبياء ، أو المرسلين .

وإنما وجدنا كلاماً ، لم يستطيعوا أن ينسبوه إلى الله تعالى ، أو إلى أحد من رسله ؛ بل نسبوه صراحة إلى بعض المخلوقين العاجزين !

فأين أوجه المشابهة إذن بين القرآن الكريم وبين الإنجيل والتوراة ، وحالها كما قدمنا ؟ !

بل أين أوجه المشابهة بينهما وبين كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ الذى جاءنا بطريق التواتر والنقل الصحيح فى كتب الحديث المعتمدة ؟

المسلمون والنصارى

لقد خاطبنا ربنا تعالى فى كتابه المحكم على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول (محمد) ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » .

هؤلاء النصارى الذين هذه صفاتهم ، وتلك سماتهم : أمرنا الله تعالى بحبهم وإعزازهم وإجلالهم .

هذا وقد ساءلت نفسى : كيف يطبع مثل هذا الكتاب « الباطل » ويعاد طبعه ، وتوزع منه عشرات الألوف من النسخ بين ظهرانينا ؟

ولقد قرأت اليوم — وأنا أثبت هذه الكلمة — خبراً فى جريدتى الأهرام والأخبار ، هذا نصه :

لبنان تطرد أستاذاً

تهجم على الدين الإسلامى

قررت السلطات اللبنانية طرد أستاذ بالجامعة الأمريكية ، ومصادرة جميع نسخ محاضراته ، لأنها تمس الإسلام وتشوهه !

أعلن ميشيل خورى وزير الأنباء قرار طرد الأستاذ استناداً إلى تحقيق أجرته الوزارة والسلطات القضائية .

جريدة الأخبار العدد رقم ٤٢٨٠ (الأحد ٢٠ مارس سنة ١٩٦٦) .

هذا ولولا اعتداء المعتدى على مقدسات الدين ، وتطاوله على سيد المرسلين ، لما قلت ماقلت . ولا كتبت ما كتبت . ولكن الدين — كما تعلم أيها القارىء الكريم — خير من الوطن ، بل وخير من الحياة نفسها !

والرسول الكريم خير من المال والولد ، والروح والجسد ! ومحبته قربى من أفضل القربات !

أما الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد : فدون الذود عنه الأرواح والمهج ، والأهل والولد ، والوطن ! وفداؤه كل الدنيا بما فيها ومن فيها ؛ لننال بذلك الجنة وما فيها من خير عميم ، ونعيم مقيم !

ولم يكن المعتدى مدافعاً — كما ذكر فى أول كتابه — بل كان معتدياً أفحش الاعتداء ، متوخياً بما كتب أبلغ الإيذاء !

حفظ الله تعالى كل المؤمنين الموحدين ، ووقاهم شر الكافرين والملحدين ، ودفع عن الإيمان من يريد به السوء ، أو ينوى له الشر !

والله المستعان على ما يصفون !

فهرس